السير والسلوك إلى ملك الملوك

تصنيف

شيخ مشايخ الاسلام العارف بالله تعالى

الشيخ قاسم بن صلاح الدين الخانى الحلبى

رضى الله عنه

صححه وحقق أصوله وعلق حواشيه

السيد

محمد عيد الشافعى

شيخ الطريقة الخلوتية المحمدية

وعضو الهيئة التأسيسية للجامعة الصوفية الاسلامية العالمية

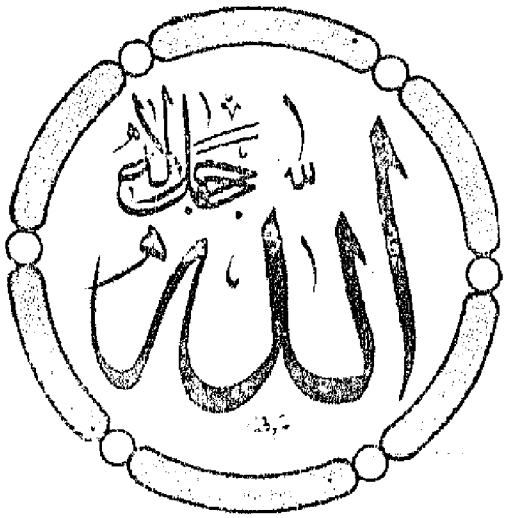

فاستقم كما أمرت ومن تاب معـــك

الاسلام الشيخ قاسم الخـــانى الحلبى قدس سره . وهو كتاب مخطوط كان الفراغ من كتابته فى عام الف ومائة واثنين من الهجرة ـ أى منذ مائتين وواحد وسبعون عاماً ولم يطبع من قبل .

فوجدته بحمدالله تعالى كتابا قيما ووافيا حقيقة فى معناه بالغرض المطلوب وكأن مابنفسى صورة تحاكيه كل المحاكاه. فاعتبرت تأليف الكتاب الذى كنت بصدده بعد سياقة هذا الفضل الالهى : شهوة .

لذلك : اتجه العزم منى إلى نشر هذه النسخة بعدمقابلتها وتصحيحها على نسخة أخرى مخطوطة بدار الكتب المصرية محررة فى ٢٢ شوال عام ١٢٥٢ هجرية أى لم تكن أسبق فى التاريخ من النسخة التى بين أيدينا .

واتماما للفائدة وزيادة فى الايضاح كان لابد من التعليق على ما أبهم فيها وما قد يكون فيه بعض الخلاف ليسهل الأمر ويتحقق النفع بفضله تعالى لمن أراد أن يذكر أو أراد شكوراً وتيسيراً للمطالع جعلت التعليق فى نهاية الصفحة مفصولا عن متن الكتاب بغير تطويل ممل ولا ايجاز مخل والله الموفق سبحانه والحق الذى لامرية فيه أن هذا الكتاب وإن كان يهدف إلى وصول النفس الانسانية إلى أعلا مراتب الكمال والدخول فى حضرات القرب والمعرفة تحقيقا لما يبتغيه الخاصة من الأمـــة إلا أنه كتاب نافع لجميع أفراد الأمة المحمدية . الخاصة منهم والعامة لأن التصوف وأن شئت قلت بمرادفه علم القلوب وتهذيب الاخـــلاق أمر ضرورى فى حياة الأمة الاسلامية ولا تكون الأمة خير أمـــة كما وصفها الله إلا إذا أخذت به . ذلك لأن أمة بغير خلق معناها أمة بغير حياة

انما الأمم الاخلاق مابقيت فان هموا ذهبت أخلاقهم ذهبوا

وأنى ضارب لك فى ذلك مثلا لتعرف به أو منه مقدار ضرورة التصوف فى حياة الأمة لو أننا جئنا لمريض لنا بأطباء ثلاثة وبحثوا جميعا العلة . وعرفوا الداء تماما . ثم وصف الأول دواء مسكنا لكى يهدأ المريض ويستريح بعض الشىء من حدة الألم . نعم قد يجد المريض باستعمال الدواء بعض الراحة . ولكن لانستطيع أن نقول أنه ولله الحمد قد برىء من علته . ولا أننا أصبحنا بحمد الله آمنين عليه من خطر الموت .

ثم إذا جاء الثانى الذى يليه ورأى أن الداء يسرى فى سائر الجسد أصبحنا نخشى أن يعم الداء ويصبح المريض فى خطر محقق حينما يتعذر علينا مداواته . فوصف له دواء من شأنه وقف سريان المرض وانتشاره فى سائر الجسد ثم استعمل المريض هذا الدواء . نعم قد تأمن بعض الشىء على حياة مريضنا ولكن ليس معنى ذلك أبدا أن المريض قد أبرىء من علته ثم إذا جاء الاخير وعمل على استئصال الداء من أصله بعد وقف انتشاره لكان لذلك الفعل منه كل خير وسلامة للمريض ومن حوله من أهله وعشيرته وأعتقد أن ذلك حق لامرية فيه أما المريض فهو الأمة . وأما الأطباء فهم القادة . فمنهم من يرى أنه لابد من تشريع وضعى بالضرورة للحد من آلام الأمة وما تعانيه من فوضى اجتماعية وخلقية واقتصادية . وهذا ولا شك كما نعلم مسكن وقتى . أن خفف الألم المريض ساعة فسيعاوده الالم لاشك مرات أخرى . ومنهم من يرى أن الاسلام من حيث ظاهر أحكامه هو خير دواء لهذه الامراض كلها وهذا ولا شك يوقف سريان الداء ويجعله محصورا فى موضعه بحكم كفالة الاسلام للفرد والجماعة . ولكن الاسلام من حيث ظاهر احكامه شىء والايمان

به والتطبيق لأحكامه عن طريق مراقبة الحق والضمير فى كل وقت وفعل شىء آخر وأنى اقرر بيقين أن للقرآن حقا قدسيته عند الله وله قدسيته فى ذاته . وله قدسيته ايضا فى قلوب المتقين . أما من اعتلت قلوبهم وهم الكثرة فى الأمة فهؤلاء ينقسمون إلى قسمين . قسم متعلم إلا انه لاعتلال قلبه لبس على نفسه ليتخذ من الشبهات عاذرا لسقطاته . وقسم غير متعلم غلبت عليه شهواته ونزعاته فلم يرع الله لا فى السر ولا فى العلن . وهؤلاء وهؤلاء إذا لم يكن للقرآن قدسيته فى قلوبهم فكيف يكون له اثر فى حياتهم وتصرفاتهم ؟ ولذا نرى أنه من الثابت فى صحيح السنة أن الرجل فى الصدر الأول كان يقع فى بعض اللمم ولم يره أحد مطلقا من البشر . ولكنه يذهب فى ظل عقيدته وإيمانه وخلقه إلى رسول الله ﷺ ويقول له لقد فعلت كذا يا رسول الله فانظر إلى حكم الله فيما فعلت . أما اليوم فيحتال الفرد ليفعل مايشاء فى ظل القانون حتى لايقع تحت طائلته وإن أصاب غيره الضر من فعله وما ذلك فى الحقيقة إلا للتدهور الخلقى : وليس فى استطاعة الحاكمين أن يقفوا على كل فرد من افراد المحكومين رقيبا لينفذ القانون بل إن فعلوا لاحتال المحكوم على رقيبه أو اتفقا معا

إذا . فليست العلة علة القانون وانما العلة وجود من يحترم القانون قال تعالى إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد ومن اعتل قلبه أو مات فكيف ينتفع به . فلا سبيل إذا إلا أن نعمل على إصلاح القلوب باستئصال داء الرذيلة منها فانها إن أصلحت صلحت الأفراد وصلحت تصرفاتهم فى سائر

شئون الحياة منتفعين بنور الهدى القرآنى . وإن فسدت فسدت الأفراد وفسدت تصرفاتهم فى سائر شئون الحياة ولم يكن لصطوة القانون فى قلوبهم المعتلة أثر .

وإذا كان التصوف الإسلامى :

علم وعمل . وله كأى علم من العلوم حد وموضوع وثمرة . فحده هو التخلى عن كل خلق مذموم . والتحلى بكل خلق محمود . وموضوعه أفعال القلب والحواس من حيث التزكية والتصفية . وثمرته إصلاح الفرد ظاهرا وباطنا فضلا عما له بعد ذلك من الناحية العملية والالهية . كان هو الطريق الوحيد فى اصلاح أفراد الأمة وأعدادهم أعدادا به يكونون خير أمة فى شتى الميادين الإجتماعية والثقافية والحربية والاقتصادية والدولية .

قال تعالى : إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم . ومن لم ينصر الله على نفسه فليس بناصر لغيره عليه ومن لم ينصف نفسه وغيره من ظالمه فليس الله بناصر له ومن ثم ندرك مقدار ضرورة التصوف فى حياة الامة . وأنها بقدر احتياجها إلى حياتها وعزتها بقدر إحتياجها إليه !

حكم الله فى ترك هذا العلم والعمل به

لاشك أن المتأمل فى فيما مضى من البحث يتبين له أن الأمة لاتكون أمة بغير خلق . وأنها فى تركها لأخلاقها ضياع منها لعزتها ومجدها . بل هو عين الضياع فى الواقع لدينها الذى أرتضاة الحق لها وامتن عليها به قائلا . لقد من الله على المؤمنين إذ بعث فيهم رسولا من أنفسهم يتلوا عليهم آياته ويزكيهم ويعلمهم الكتابة والحكمة : الامر الذى جاء من أجله ﷺ وبينه بقوله : إنما بعثت لأتمم مكارم الاخلاق : وجعل الحق تبارك وتعالى فلاح المرء فلاحا مطلقا فى دنياه وآخرته متوقفا عليه كما جعل خيبة المرء وخسرانه فى حياته

وآخرته متوقفا على تركه حيث قال جل وعلا : قد أفلح من ذكاها وقد خاب من دساها

فالعلم الذى تكون به نجاة المرء من آفة الرذيلة وتتحقق به سعادة الفرد والجماعة فى الدنيا والآخرة لاشك أن حكم الله فيه أنه واجب وتركه إثم إذ أنه لا تصلح عبادة مؤمن ولا يسلم له قلب إلا به . ثم إذا كانت معرفة الله واجبة . وتتوقف هذه المعرفة على معرفة النفس كما قال يحيى بن معاذ الرازى (من عرف نفسه فقد عرف ربه) فما لا يتم الواجب إلا به فهو واجب . ففرض عين على كل مؤمن أن يأخذ من هذا العلم أى علم اصلاح القلوب ما تصح به عبادته ويبرأ به قلبه وتتم به سعادته وتحصل له بالله معرفته وإلا كان عند الله آثما ولمنة الله عليه مضيعاً : وقد قال بذلك كثير من أهل الفضل منهم ابن حجر فى : كتابه تحفة المحتاج . والخطيب الشربينى فى شرح الغاية . والامام الغزالى . والبغوى وعلاء الدين فى الدر المختار وشيخ الاسلام زكريا الانصارى وغيرهم فنسأله : تعالى أن يلهمنا الرشد وأن يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه وأن يرينا الباطل باطلا ويرزقنا اجتنابه انه سميع قريب مجيب .

محمد عبد الشافعى

ترجمة المصنف رضى الله عنه

نقلا عن سلك الدور فى أعيان القرن الثانى عشر . للمرادى

يقول المترجم : قاسم الخانى ابن صلاح الدين الخانى الحلبى : الشيخ الفاضل العارف بالله . ترجم نفسه فقال . ولدت سنة ثمان وعشرين وألف ثم ساغرت إلى بغداد فى شهر جمادى الأولى سنة خمسين وألف فكانت غيبة طويلة مقدار سنتين ثم رجعت إلى حلب وأقمت بها شهرين ثم توجهت إلى البصرة . فأقمت بها مدة عشرة أشهر ثم توجهت إلى حلب وأقمت بها عشرة أيام . وتوجهت مع الحاج إلى مكة المشرفة وعدت منها إلى استامبول وأقمت بها سنة وسبعة أشهر ثم عدت إلى حلب . وكانت سياحتى هذه قريباً من عشر سنين وكانت كلها أشتغال بالتجارة . ولكنى بعد هذه السياحة وعودتى إلى حلب . أحببت العزلة عن الناس وتركت البيع والشراء . وسلكت طريق الذل والافتقار . وغيرت الجلاس (١) والحلاس والانفاس (٢) . وجاهدت نفس وعاديتها بالجوع والسهر نحوا من سبع سنين . سنتين منها إقتصرت على

---

(١) الحلاس جمع حلس وهو الكساء . قال ﷺ مررت ليلة أسرى بى وجبريل بالملأ الأعلى كالحلس البالى من خشية الله . والحلس هو الكساء الذى يلقى على ظهر البعير

(٢) الانفاس جمع نفس . وتغيرها هى أن تتبدل الانفاس فيه من أنفاس غفلة الى أنفاس يقظة فلا يخرج منه نفس بغير ذكر فيكون ذاكراً لله بعدد انفاسه فينشأ له من ذلك دوام المراقبة لله والحضور معه .

أن أتناول فى كل ستين ساعة كفامن طحين أجعله حريرة وأحليه بلعقة من العسل وأفرغه فى حلقى (٣) وكف الطحين هذا مقدار وزنه خمسة عشر

---

(٣) كان ذلك أمراً شائعاً عند الصدر الاول رضوان الله عليهم ولذا لا يبدو اعريبا كما يبدو اليوم يعلم ذلك مما رواه الحاكم باسناد صحيح بأنه كان قوت اهل الصفة مد من تمر بين اثنين فى كل يوم — والمدرطل وثلث مع ملاحظة أن ذلك بما فيه مقدار النوى . وكان أبوذر رضى الله عنه يقول طعامى فى الجمعة صاع من شعير على عهد رسول الله ﷺ ووالله لا أزيد عليه شيئاً حتى ألقاه فانى سمعته يقول أقربكم منى مجلسا يوم القيامة من مات على ما هو عليه اليوم . ثم اذا تفقدنا حال الكثير من الصحابة رضى الله عنهم رأينا أن الصديق رضوان الله عليه كان يطوى ستة أيام وكان عبدالله ابن الزبير يطوى سبعة . وكان أبو الجوزاء صاحب ابن عباس يطوى سبعا وقد اقتفى أثرهم خيرة هذه الأمة فكان الثورى وابراهيم ابن ادهم يطويان ثلاثا ثلاثا والحقيقة كما يقول الامام الغزالى انهم كانوا يستعينون بذلك على طريق الآخرة واذا تأملنا فى ذلك الفعل يتبين لنا أن اختلاف المقادير سواء اذ كان فى كميات الطعام او مدة الأيام راجع الى اختلافات احوال الافراد فى القوة والضعف فلا يجوز لعبد ان يعمل على اضعاف نفسه حتى لا يستطيع القيام بما فرض عليه او بما هو مخلوق من اجله كما لا يجوز له ان يخرج من حد الاعتدال الى حد الاسراف فان ذلك امر منهى عنه قال تعالى كلوا واشربوا ولا تسرفوا وحد الاعتدال هو ما اشار اليه رسولنا ﷺ بقوله — حسب بن آدم لقيمات يقمن بها صلبه فان كان ولا بد فاعلا . فالثلث لطعامه . والثلث لشرابه . والثلث لنفسه . والحكمة فى ذلك هى ان دوام الشبع يقسو به القلب وتطغى به النفس وما افلح امرؤ فى طريق الله قسى قلبه وطغت نفسه .

درهما . أما باقى أيام السبع سنين فكان أكلى أقل من القليل. وكل ذلك كان باشارة مشايخى رضوان الله عليهم أجمعين وصدق على قول سيدى عمر ابن الفارض قدس سره .

ونفسى كانت قبل لوامة متى أطعتها عصت أو تعصى كانت مطيعتى
فأوردتها ما الموت أيسر بعضه وأتعبتها كيما تكون مريحتى
فعادت ومهما حملته تحملته منى وإن خففت عنها تأذت

فلما أنقضت سنوا لمجاهدة القريبة من سبع سنين . وهل شهر شوال سنة ستة وستين وألف . ألقى الله تعالى فى قلبى حب طلب العلم الظاهر : فقرأت على المشايخ سنتين إلا شهرا . وفتح الله على من العلم مافتح . فتركت القراءة. وشرعت فى الإقراء فاقرأت بعض الطلبة .

وكان أكثر الطلبة يضحكون قائلين نحن لنا عشر سنين نخدم العلم ولم نتجرأ على ذلك فيأتى بعضهم إلى مجلس درسى وهو منكر : فوالله مايقوم من ذلك المجلس الا وقد تبدل انكاره بالاعتقاد . وفى ثانى ذلك اليوم يأتى ويقرأ على ويقول هذا الأمر من خوارق العادات . وبقيت على ذلك سنة (إنتهى ما كتبه المصنف بنفسه) ثم يقول المؤرخ . وكانت قراءته على جملة من العلماء الأفاضل . وجلها على الشيخ ابى الوفا العرضى صاحب طريق الهدى . وكان سلوكه على يد الشيخ أحمد الحمصى فاقام المترجم خليفة بعده فى المدرسة الاشرفية الى أن توجه عليه تدريس الحاوية وصار يدرس بها ويقيم الاذكار والاوراد. ثم توجه عليه الافتاء بحلب وكان يفتى على مذهب الامامين ابى حنيفة والشافعى.

وله من التآليف السير والسلوك الى ملك الملوك . واختصر الراجية وشرحه وله رسالة فى المنطق وشرح على الجزائرية فى التوحيد وله غير ذلك من التآليف والفوائد وكانت وفاته سنة تسع ومائة وألف ودفن بين قبور الصالحين خارج باب المقام بحلب رحمه الله رحمة واسعة ـ انتهى ما كتبه المرادى فى الجزء الرابع من كتابه الدرر فى أعيان القرن الثانى عشر .

(مقدمة الكتاب)

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذى أهبط بحكمته (١) اسرار ذاته العليه . من سماء العماء إلى أرض الطبيعه الكلية . واودعها بقدرته فى صدف النطف اظهار الخواص الاسماء فاحتجبت بالظلمات النفسانية . حجابا أنساها ما كانت عليه من الكمالات فمالت الى الشهوات وركنت الى المحسوسات والفت العادات فلم تذكر أوطانها ولا خطر ببالها مبادئها العلية . ثم أرسل اليها رسلا على صورتها الظاهره ورسلا على صورتها الباطنه (٢) فاوقدوا فى ظلمتها مصابيحا

---

(١) الاسرار جمع سر وهو ما استأثر به الحق سبحانه وتعالى فى غيب ذاته من حقائق الاسماء ومتعلقاتها فى مرتبة العماء أى المرتبة المتعالية عن التعالى والتدانى والمطلقة عن الاطلاق والتقييد فلا يحكم عليها بحقية ولا خلقية لانها فى الحقيقة . عبارة عن تجلى الحق على العبد بجهل العبد بالله . وقد اشار اليها رسولنا صلى الله عليه وسلم . حينما سئل . كيف كان ربك يا محمد قبل ان يخلق الخلق . قال كان فى عماء مافوقه هواء ومانحته هواء . فالامر غيب مطلق عن قيدى الحس والعقل :

(٢) لما ان كان ظاهر الانسان الجسد : وباطن الانسان الروح : والجسد الظاهر من عالم الخلق والروح الباطن من عالم الأمر : إقتضت الحكمة فى الصنع ان يكون للظاهر رسل : وللباطن رسل فالى الأول اشار قول الله تعالى : لقد من الله على المؤمنين اذ بعث فيهم رسولا من انفسهم يتلوا عليهم اياته ويزكيهم ويعلمهم الكتاب والحكمة : والى الثانى اشار قول الله تعالى . ان الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا تتنزل عليهم الملائكة الا تخافوا . ولا تحزنوا وابشروا بالجنة التى كنتم توعدون نحن اولياؤكم فى الحياة الدنيا وفى الاخرة . وولاية الملائكة فى الحياة الدنيا لمن استقام على الطريق الأوسط هى ظهورها فى صور الخواطر الملكية الداعية للعبد بفعل الخيرات : بعكس من لم يستقم فتتنزل عليه الشياطين كما قال تعالى : هل أنبئكم على من تنزل الشياطين تنزل على كل افاك اثيم .

ملكوتية . فادركت ماهى عليه من الخبائث وما فيها من الاستعداد الى الوصول الى الكمالات والدرجات العلية . فجدت واجتهدت وطلبت من مبدئيها كشف ما سترها من الحجب النورانية والظلمانيه . فتقرب منها لما تقربت بهذا الطلب وجذبها جذبة انستها طباعها وما كانت عليه من العادات فوصلت بها الى حضرة الأحدية . فاستهلكت صفاتها فى صفاته إذ لم يبق فيها ما ينازعه فى ربو بيته لاتصافها بكمال العبودية فناداها ببعض أسمائها . يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى الى ربك راضية مرضية . وامرها بالدخول فى عباده تحقيقا للخلافة الآدمية . فخلعت عليها الخلعة القيومية والكمالات الأبدية . والصلاة والسلام على سيد الانام ومصباح الظلام وخير البرية . وعلى اله واصحابه الفائزين ببركة صحبته بالأفضلية ومقام القطبيه . اما بعد فإن سلوك طريق الحق من اخلاق الانبياء والمرسلين . وخلاصة عباد الله الصالحين . الذين قال فى حقهم رب العالمين ان عبادى ليس لك عليهم سلطان . وهو أمر ممكن ميسر على من يسره الله عليهم . وهم النطف الطاهرة واصحاب الاستعدادات الكاملة والطباع السليمة الذين لارغبة لهم فى لذات الدنيا ولا نعيم الاخره قلوبهم متوجهة نحو مليكهم لايسكنون الالذكره ولا يتقوتون الا بتلاوه اسمه . يراعون الظلال بالنهار . ويحنون لغروب الشمس كما يحن الطير الى الاوكار . فاذا جن الليل واختلط الظلام وخلا كل حبيب بحبيبه نصبوا لمحبوبهم اقدامهم وفرشوا له وجوههم وناجوه بكلامه وتملقوا له بانعامه : بين صارخ وباك وبين متأوه وشاك وبين قائم وقاعد وبين راكع وساجد . باعوا الذات الحواس الظاهره بما

ظهر لهم بالبصائر الباطنة وهو أعنى السلوك لطريق الحق متعسر على من هبط الى سجين وأسفل سافلين وانخرط فى الطبيعة فى سلك الحيوانات وانحبس فى قفص العادات وأصطيد بشبكة الخالفات ولم يصبه شيء من النور الذى القاه الله على عباده حين خلق الخلق فى ظلمة كما جاء فى الحديث (١). يعنى ظلمة الطبيعة فبقوا فى ضلالهم فلم يهتدوا اذا ابدا

ثم لهذا الطريق منازل معلومة عند أهله (٢) يقطعها السالك واحدة بعد واحدة الى أن يصل الى اخرها فينتهى السلوك ولا تنقطع التجليات لانها لا آخر لها

---

(١) يقول صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى خلق خلقه فى ظلمة فالقى عليهم من نوره فمن أصابه من ذلك النور يومئذ اهتدى ومن أخطأه ضل. رواه الامام احمد والحاكم والترمذى عن عبدالله بن عمرو. ورجال احمد رجال الصحيح

(٢) لقد بين هذه المنازل الإمام المحدث الصوفى محمد بن اسماعيل الهروى فى كتابه منازل السائرين وجمعها رضوان الله عليه فى مائه. كل عشرة منها تتميز عن الأخرى. فالاول. بدايات. وهى اليقظة والتوبة والمحاسبة والانابة والفكر والذكر والاعتصام والفرار والرياضة والسماع والثانية ابواب ـ وهى الحزن والخوف والاشفاق والخشوع والاخبات والزهد والورع والتبتل والرجاء والرغبة ـ والثالثة معاملات ـ وهى الرعاية والمراقبة والحرمة والاخلاص والتهذيب والاستقامة والتوكل والتفويض والثقة والتسليم ـ والرابعة اخلاق ـ وهى الصبر والرضا والشكر والحياء والصدق والايثار والخلق والتواضع والفتوة والانبساط ـ والخامسة اصول. وهى القصد والعزم والارادة والادب واليقين والانس والذكر والفقر والغنى ومقام المراد ـ والسادسة اودية ـ وهى الاحسان والعلم

وهذا معنى قول الشيخ الأكبر ان الترقى لاينقطع ولا بعد الموت : فحال هذا السالك فى قطع هذه المنازل كحال المسافر فى قطع مراحل الطريق المحسوسة فكما يحتاج المسافر فى سفره الى الدليل العارف بالطريق والزاد والراحلة والرفقة والسلاح لملاقات العدو وإرهابه فكذلك السالك لابد له من مرشد عارف بهذا الطريق قد سلكه وعرفه وعرف خيره وشره . ولا بد له من زاد وهو التقوى ولا بد له من راحلة وهى الهمة . ولا بد له من رفقة وهم اخوانه الطالبون مطلبه . ولا بد له من سلاح وهو الأسماء : ليذهب به عدويه وهما الشيطان والنفس : وكما ان المسافر يمر على بلاد ومداين ويقيم فيها ثم يرحل عنها متوجها الى مطلوبه كذلك السالك يمر فى سيره على المقامات المشهورة عند اهل الله تعالى وهى سبع مقامات : المقام الاول منها مقام ظلمات الاغيار وتسمى النفس فيه بالامارة : الثانى مقام الانوار وتسمى النفس فيه باللوامة : الثالث مقام الاسرار وتسمى النفس

والحكمة والبصيرة والفراسة والتعظيم والالهام والسكينة والطمأنينة والهمة - والسابعة اصول وهى المحبة والغيرة والشوق والقلق والعطش والوجد والدهش والهيمان والبرق والذوق - الثامنة ولايات - وهى اللحظ والوقت والصفاء والسرور والسر والنفس والغربة والغرق والغيبة والتمكين - والتاسعة حقائق - وهى المكاشفة والمشاهدة والمعاينة والجياء والقبض والبسط والسكر والصحو والاتصال والانفصال - والعاشرة وهى تمام الغاية نهايات - وهى المعرفة والفناء والبقاء والتحقيق والتلبيس والوجود والتجريد والتفريد والجمع والتوحيد . فأذا ماأقبل العبد على الله تعالى بكنه الهمة قاصدا التعرف اليه تعالى والقرب منه متمسكا فى اقباله بمراسم

فيه بالملهمة: الرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة : الخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية السادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية : السابع مقام تجليات الأسماء والصفات وتسمى النفس فيه بالكاملة : وكلما كان الانسان فى مقام من هذه المقامات كان محجوبا به عمن بعده : فمن كان فى المقام الاول فهو محجوب بالأغيار عن مشاهدة الأنوار : ومن كان فى الثانى فهو محجوب بالانوار عن الاسرار : ومن كان فى الثالث فهو محجوب بالاسرار عن الكمال : ومن كان فى الرابع فهو محجوب بالكمال عن الوصال . ومن كان فى الخامس فهو محجوب بالوصال عن تجليات الافعال . ومن كان فى السادس فهو محجوب بتجليات الافعال عن تجليات الاسماء والصفات . ومن كان فى السابع فهو محجوب

التشريع مع الأخذ بالعزيمة نزل القلب فى كل منزلة من هذه المنازل فى حالة سيره وسلوكه . وكلما تحقق بمنزلة من هذه المنازل ارتقى الى منزلة اخرى وهكذا حتى يصل فى نهاية امره الى التوحيد الخالص فيكون شاهد الحال فيه شهد الله انه لا اله هو والملائكة وأولى العلم قائما بالقسط لااله الا هو العزيز الحكيم . فيشهد الامر وفق ما يشهده ربه وملائكته وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء وتندرج كل هذه المنازل تحت حيطة المقامات المشهورة عند اهل الله تعالى وهى كما بينها المصنف رضى الله عنه سبعة مقامات المقام الأول مقام الاغيار وتسمى النفس فيه بالأمارة والمقام الثانى مقام الانوار وتسمى النفس فيه باللوامه والمقام الثالث مقام الاسرار وتسمى النفس فيه بالملهمة والمقام الرابع مقام الكمال وتسمى النفس فيه بالمطمئنة والمقام الخامس مقام الوصال وتسمى النفس فيه بالراضية والمقام السادس مقام تجليات الافعال وتسمى النفس فيه بالمرضية والمقام السابع مقام تجليات الاسماء والصفات وتسمى النفس فيه بالكاملة .

بتجليات الأسماء والصفات عن تجلى الذات . وتجلى الذات ممتنع لانه يعطى ظلمة كالنظر الى الشمس فان الناظر اليها لا يبصر شيئا . ولذا قالوا أن الحق لا يتجلى من حيث ذاته على الموجودات الا من وراء حجاب من حجب الاسماء وحينئذ فاعلى المقامات هو تجلى الاسماء والصفات واما تجلى الذات فهو شيء غير ممكن (١) مع أن القوم رضوان الله عليهم يذكرونه ـ ويعرفونه وسيرد عليك تعريف تجليات الافعال وتجليات الصفات : وتجلى الذات مفصلا فى المقدمة ان شاء الله : ثم إعلم ان بين العبد وربه سبعين حجابا من ظلمة ونور كما جاء فى الحديث الشريف : وهى ترجع الى العبد لان الله لا يحجبه شيء (٢) لأنه لو كان له حاجب لكان له قاهر : وهو القاهر فوق عباده : فالمحجوب فى الحقيقة هو العبد : والمراد من الحجب عند اهل التحقيق هو بعد المناسبة فافهم فانه دقيق (٣) ولا تعتقد أن الحجب أمور

---

(١) الحقيقة ان هناك تجلى للذات . وهو لا يكون قط لعبد فيه بقية . وهو لا يكون الا كما يقول القائل ـ اذا رأيت حبيبى باى عين اراه ـ بعينه لا بينى فلا يراه سواه ـ فيكون الانسان فى مشهد من شأنه ظهور معنى الذات بغير تعين ولا حكم حال فنائه فى مشهده . فإن رد العبد إلى بشريته بقيت معه رقيقة علمية منطبعة فى نفسه بحكم مشهده . ومحاولة الافصاح من العارف عن ذلك المشهد بعد رده إلى بشريته يزيد الايضاح ابهام . ومن العجب أن تقع النكرة فى عين المعرفة ولكن الله الذى له الحكم لا يدخل فى تجليه تحت حكم .

(٢) لله سبحانه وتعالى الاحاطة بكل شيء ومن أحاط بكل شيء كان أقرب إلى كل شيء من كل شيء ومن ثم كان المحجوب أنت فى الحقيقة لا هو

(٣) نفس المرء من حيث هى صالحة صلاحا متساويا لقبول الخير والشر فاذا كانت بمثابة المرآة المجردة المستعدة لطبع كل ما يقابلها من الصور . فان

حسية : ولا ان البعد بعد مسافة كما يفهمه البعض فانه تعالى منزه عن البعد والقرب الحسيين ومنزه عن الجهة والمكان والزمان وغير ذلك من سمات الحدوث :

وسلوك طريق الحق انما جعل لتمزيق هذه الحجب السبعين : وهى ترجع جميعها الى السبع مقامات المذكورة : والنفس فى كل مقام محجوبة بعشرة حجب : الأول منها اكثف من الثانى . والثانى اكثف من الثالث : والثالث اكثف من الرابع : وهكذا الى العشرة فالتاسع اكثف من العاشر . وكذلك حجب كل نفس اكثف من حجب النفس التى بعدها وهكذا الى النفس السابعة . ولذا كلما وصل السالك الى مقام من هذه المقامات السبع ظن أنه وصل الى الله :

اتجهت نحو الكون وتعلقت به ولم ترع حق الله فيـــه فاستعملته فى غير ما خلق من أجله . وصارت تركب من الذنوب والآثام ما تهوى كان لذلك الفعل أثر عائد عليها . وذلك الأثر هو أن تظلم النفس ويتراكم الصدأ والران على وجهها فتكون فى ظلمات بعضها فوق بعض فلا ترى سبيل الرشد ولا تنكشف لها حقائق الأمور ولا تشم رائحة القرب قال تعالى . كلا بل ران على قلوبهم ما كانوا يكسبون . ومن ثم يكون المرء بعيداً بحكم هذه الظلمات عن ربه — أما ان سلكت النفس طريق التزكية وأعرضت عن السوى . وأخذت بقوله ﷺ تخلقوا باخلاق الله واتصفوا بصفاته فوقفت بذلك عند حدود الله ومحارمه كان لها من ذلك الكمال ما يؤهلها للدخول فى حضرات القرب وكان هذا الكمال فى الحقيقة هو المناسبة . فبقدر تخلق العبد واتصافه بصفات ربه يكون قربه منه وبقدر انغماسه فى شهوات نفسه ووقوفه مع أحكام حسه يكون بعده عنه فالقرب إذاً انما هو قرب بالصفة لا بالمكان

واذا عرفت هذا عرفت أن أبعد ما يكون العبد من ربه اذا كان فى المقام الاول لان النفس فيه أمارة بالسوء .وسنذكر أوصافها فى بابها . واوصاف غيرها من النفوس البافية حتى يعلم السالك فى أى مقام هو لان كل نفس من النفوس لها صفات وسير وعالم ومحل وحال وأوراد: والنفس الامارة بالسوء دون سواها من النفوس محجوبة بحجب ظلمانية . وأما ماسواها من النفوس فكلهما محجوبة بحجب نورانية وبعضها ارق من بعض كما ذكرنا .

فالسالك اذا كان فى المقام الأول وتلقن الأسم الاول من المسلك وداوم على تلاوته مع الاكثار انناء الليل واطراف النهار . جهرا و سرا وقياما وقعودا أوقد الله تعالى فى باطنه ببركة هذا الاسم مصباحا ملكوتيا فيرى بعين قلبه القبايح التى هو منطو عليها كارها لها . ومستنكرا من نفسه الاتصاف بها متحسرا على مافاته من الاوقات بعد ما كان فى غفلة لا يعرف القبيح من الحسن الا باللسان فيشمر عن ساعد الجد ليسعى على الخلاص مما فيه من القبائح الظاهرة كشرب الخمر والزنا ولبس الحرير وغير ذلك وعلى اخراج ما فيه من القبايح الباطنة كالكبر والحقد والحسد وامثال ذلك وكلما زاد من الذكر وداوم عليه زادات كراهيته لافعاله القبيحة وزاد سعيه فى الخلاص منها: وهذا أمر محقق لاينكره الا من لم يجربه : وهذه أول كرامة يكرم بها الله تعالى هذا العبد السالك ليستعين على قطع الطريق :وله فى كل مقام كرامة بل كرامات كثيرة . ويعتبر هذا المصباح المذكور أول الجذبة الرحمانية : وكلما دوام السالك على الذكر مع المجاهدة قوى الجذب حتى يصل الى اعلى درجات الكمال فيقوى على حمل الأمانة وعلى التجليات .

ولما شاع بين من أقعدهم الكسل والاهمال عن سلوك الطريق الموصل الى الدرجات العلى ومن لم يتجاوزوا ادراك الحواس الظاهرة. ان طريق المحققين قد انهدمت أركانها . واندرست اثارها ومات اهلها ولم يبق منها الا اسمها . كتبت هذه الرسالة وبينت فيها كيفية السلوك واحوال السالكين. والمسلك وما يحتاج اليه السالك فى قطع الطريق والوصول الى التحقيق . لتنقطع اعذار المقصرين وتزداد همم الراغبين فى السير الى رب العالمين . ولا شك: أن كل من سار على الطريق وصل الى منتهاه: وطريق الحق واضح بين . لكنه مع الاهواء الشيطانية والشهوات لا يكون واضحا. قال العارف بالله تعالى

ونهج سبيلى واضح لمن اهتدى ولكنها الاهواء أعمت فاعمتى

وقد سميتها ـ السير والسلوك الى ملك الملوك ورتبتها على مقدمة وعشرة ابواب وخاتمه. فالمقدمة : فى تعريف ما يحتاج الى ذكره هنا من اصطلاحات اهل التحقيق . ـ حتى كلما مررت بكلمة غريبة المعنى ترجع الى المقدمة فتراها مفسرة واضحة بكلام تفهمه . لان من لم يعرف اصطلاحات القوم رضى الله عنهم لا يفهم كلامهم . وأما الباب الأول فهو فى ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها . والباب الثانى ففى الحث على سلوك هذه الطريقة وبيان فضلها وذكر الصفات الذميمة المانعة من الوصول الى الكمال وذكر الاوصاف الحميدة الموصلة الى الكمال . والباب الثالث ففى بيان الحجب التى بين العبد وربه . وما يحتاج اليه فى تمزيقها ورفعها عن اللطيفه الانسانية من التوبة . والانابة . والتجرد عن الاسباب وغير ذلك مما لابد منه . والباب الرابع فى بيان النفس الأمارة بالسوء وسيرها وعالمها ومحلها وما لها وأورادها وصفاتها وقبائحها وكيفية الخلاص منها والترقى عنها الى المقام الثانى الذى

تكون فيه النفس لوامة والباب الخامس فى بيان النفس اللوامة ومحاسنها وقبائحها وصفاتها والباب السادس فى بيان النفس الملهمة وما تشتمل عليه من الجمع بين الخير والشر والصفات الحسنة لانها محل الخطر . والباب السابع فى بيان النفس المطمئنة وما فيها من كمال بالنسبة الى مادونها من النفوس والباب الثامن فى بيان النفس المرضية وعجائبها والباب العاشر فى بيان النفس الكاملة وقربها وعبوديتها . والخاتمة فى بيان المرشد وأوصافه واوحوالهوبها يعرف من يصلح للارشاد ومن لم يصلح وفى بيان صفات المريد القابل للسلوك والمريد الغير قابل وفى بيان مداخل الشيطان وانواع ظهوره وكيف يظهر لاهل كل مقام بما يناسبهم ليستعين بهذه الدسائس على أضلالهم اعاذنا الله . وصلى الله على سيدنا محمد و آله وصحبه اجمعين . رب يسر وانت الكريم

المقدمة

فى تعريف ما يحتاج إلى ذكره فى هذه الرسالة من اصطلاحات أهل التحقيق مرتبا على حروف المعجم.

. الأخلاص ـ هو ان لايطلب الرجل رؤية الناس أعماله فهو ضد الرياء.

. البقاء ـ وجود الأوصاف المحمودة فى السالك بسبب الرياضة وهو نتيجة الفناء فمتى تم الفناء حصل البقاء كما ستعرفه فى حق اليقين. التقوى. هى التجنب عن كل ما يؤثم من فعل أو ترك وهذه تقوى العوام. أما تقوى الخواص فهى تنزة القلب عما يشغله عن الله. التجرد. هو إزالة السوى والكون عن القلب. التجلى. هو ما يكشف لقلب السالك من أنوار الغيوب. فان كان مبدؤه الذات من غير إعتبار صفة من الصفات يسمى تجلى الذات. وأكثر الاولياء ينكرونه ويقولون أنه لا يحصل إلا بواسطة صفة من الصفات. فيكون هذا من تجلى الأسماء الذى هو قريب من تجلى الصفات وإن كان مبدؤه صفة من الصفات من حيث تعينها وإمتيازها عن الذات يسمى تجلى الصفات وإن كان مبدؤه فعل من أفعاله تعالى يسمى تجلى الأفعال. فتجلى الأسماء هو ما ينكشف لقلب السالك من أسمائه تعالى. فاذا تجلى فى اسم من أسمائه تعالى أصطلم السالك تحت أنوار ذلك الاسم بحيث إذا نودى الحق تبارك وتعالى بذلك الاسم أجاب السالك المصطلم به. وتجلى الصفات هو ماينكشف لقلب السالك من صفاته تعالى فاذا تجلى على السالك بصفة من صفاته وكان ذلك بعد فناء صفات السالك ظهر على السالك بعض آثار تلك الصفة بفضل الله تعالى كأن يتجلى عليه الحق مثلا بصفة السميع فيسمع بها نطق الجمادات وغيرها وهكذا بقية الصفات.

وأما تجلى الأفعال فهو ما ينكشف لقلب السالك من أفعاله تعالى فاذا ماتجلى الحق تعالى على السالك بأفعاله إنكشف له جريان قدرة الله تعالى فى الاشياء فيرى أنه تعالى هو المحرك وهو المسكن شهودا حاليا لايعرفه إلا أهله وهذا التجلى . مزلة أقدام الكثيرين . فيخشى على السالك منه لأنه ينفى الفعل عن العبد بالكلية (٢) ولكن يثبت الله الذين آمنوا بالقول الثابت فى الحياة الدنيا وفى الآخرة . وأعلم أن تجلى الأفعال سابق على تجلى الصفات والاسماء . (٣) فان ثبت السالك ولم يزل قدمه وأقام الحدود الشرعية على نفسه مع شهوده

(٢) لاشك ان الله سبحانه وتعالى هو الفاعل الحقيقى فى كل شىء . ونسبة الفعل الى العباد نسبة مجازية لانسبة حقيقية والا كان هناك الهين وفسد الأمر . إلا أن الناس فى شهود الفعل أنقسموا الى ثلاثة أقسام . قسم شهد الفعل من الخلق وغاب عنه ان الله هو الفاعل فيهم فكانوا حجابا له عن شهود وحدانية الفعل فى الوجود وقسم غلب عليه شهود وحدانية الفعل فلم ير ضاراً ولا نافعاً ولا معطياً ولا مانعاً إلا الله . وأنكر الأسباب مطلقا . ولم يضف إلى الخلق ما أضاف الحق اليهم . وهو الذى أشار اليه المؤلف وقسم شهد الحق فى الخلق أى شهد الفعل فى الخلق لله . فكانوا فى مشهده محل لجريان الفعل وهم لايملكونه كمجرى المياه يمر منها الماء وهى لا تملكه وهذا الفريق أضاف إلى الحق ما أضاف الحق لنفسه وأضاف الى الخلق ما أضاف الحق اليهم فكان مع مراد الله فى الأمرين لم تشغله الخلق حتى يحجب بهم عن الله فيضل . ولا غاب بشهود الفعل لله . فانكر ما أثبت الله لضيق حاله وانما أعطى كل مرتبة حكمها فكان كاملا

(٣) يقول ذلك استناداً الى قول رسول الله ﷺ أعوذ بمعافاتك من عقوبتك وأعوذ برضاك من سخطك وأعوذ بك منك سبحانك لا نحصى ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك فالأولى مرتبة الأفعال والثانية مرتبة الأسماء والصفات والثالثة مرتبة الذات

أن المحرك والمسكن هو الله تعالى ترقى من هذا التجلى الخطر إلى تجلى الأسماء والصفات وإن لم يثبت تزندق ورجع من الطريق وهبط إلى أسفل سافلين ولاحول ولاقوة إلا بالله العلى العظيم ـ التصوف . هو الوقوف مع آداب الشريعة ظاهراً وباطنا فيرى حكمها من الظاهر فى الباطن ومن الباطن فى الظاهر فيحصل من الحكمين كمالا لم يكن بعده كمال . الجاه هو انتشار الصيط . الجمع هو شهود الأشياء بالله تعالى . جمع الجمع الاستهلاك بالكلية والفناء عما سوى الله تعالى وهو المرتبة الأحدية . الجرس . اجمال الخطاب الالهى الوارد على القلب بضرب من القهر . (١) الحال معنى يرد على القلب بلا تصنع ولا اجتلاب ولا اكتساب . وهو أما طرب وأما حزن وأما قبض وأما بسط وأما هيبه . وإما غير ذلك مما يرد على قلب السالك فان زال عن القلب فهو الحال . وان دام وصار ملكة سمى مقاماً فالاحوال مواهب والمقامات مكاسب والاحوال تأتى من عين الجود والمقامات تحصل ببذل المجهود . الحجاب هو انطباع الصور الكونيه فى القلب المانعة من قبول تجلى الحق . فمتى كان فى قلب السالك غير الله تعالى فهو محجوب عن تجليه . وقد تكثر الاغيار فتصير حجابا ظلمانيا وقد تقل فتكون حجابا نورانيا . لذلك اختار المحققون للسالك ترك الاسباب وملازمة الخلوة (٢) حتى لا تنطبع الصور

(١) روى البخارى عن عائشة رضى الله عنها ان الحارث ابن هشام رضى الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال يارسول كيف يأتيك الوحى فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم . احيانا يأتينى مثل صلصلة الجرس وهو اشده على فيفصم عنى وقد وعيت عنه ماقال واحيانا يتمثل لى الملك رجلا فيكلمنى فأعى عنه فأختيرت هذه التسمية اصطلاحا لما بين الامرين من مشابهة .

(٢) قد يكون المرء فى الخلوة وقلبه معلق بالاكوان . وقد يكون المرء

الكونية فى قلبه فتمنعه عن تجلى الحق له . والدليل على ان المانع هو الصور الكونية انك ترى العابد الذى لم يسلك طريق المحققين يعبد الله عز وجل سبعين سنة ولم يحصل فى قلبه شىء مما يحصل للسالكين لان العابد الذى هو ليس

فى الكون وقلبه معلق بالله وهذا امر راجع الى استعداد المريد السالك ومقدار تمكن الاغيار من قلبه . والمرشد المحقق طبيب قائم بمعالجة قلب مريده هدفه تخليص القلب من مرض التعلق بالسوى ليكون القلب صالحا لله فان تيسر بحكم استعداد المريد بقاؤه فى الخلق مع كامل التعلق منه بربه فيكون معهم بجسده ومع الله بروحه وقلبه ولم تكن الخلق حجابا له عن شهود الخالق ابقاه فى مرتبة الاسباب فان ذلك اكمل كما قال صلى الله عليه وسلم حينما مر على رجل يتعبد فى شعب من الشعاب وسأل من يقتاته فقالوا اخيه قال هو خير منه . وان تعذر سلامة قلب المريد من مرض التعلق لقوة تمكن الداء منه كانت الخلوة والعزلة من انفع الامور لمرضه . فعلى المرشد فى هذه الحالة أن يعزله عن الخلق مع مراعاة حق الله فيما استرعاه فيه من قبل اى فيما استرعى المريد فيه واذا كنا نجيز لطبيب الجسد ان يعزل المريض احيانا لما يترتب على أختلاطه من ضرر له أو لعشيرته مع اليقين منا بفناء هذا الجسد وخسة هذه الحياه فكيف لانجيز لطبيب الروح ان يعزل مريضه حرصا منه على سلامة قلب باق لا يتطرق اليه الفناء وحياة طيبة تتحقق فيها سعادة الاخرة بلقاء الله . قال تعالى يوم لاينفع مال ولا بنون الا من اتى الله بقلب سليم . وقد كان صلى الله عليه وسلم فى بداية أمره يتحنث فى غار حراء معتزلا الخلق جميعا منفردا بربه مقبلا عليه فلما ان تم له الأمر وكمله الله بما هو لائق به قال له جل وعلا . وانذر عشيرتك الأقربين اى أمره بالعودة الى الخلق ليقوم بحق الله فيهم فالمحققون حكماء لايصفون دواء ولا يأمرون بعزله الا بحسب داء المريض وحاله وقد اجاز الدين الامرين

بسالك قلبه مملوء بالاغيار ولم يسعى فى ذهابهـــا عن قلبه ولا يريد ما أراده السالكون بل يطلب ماوعد الله به فى الجنة فان قبل الله منه عبادته اعطاه ماوعده به فى الجنة وهو لا يخاف الميعاد . والعابد السالك يعطيه الله تعالى التجلى فى الدنيا وله فى الاخرة اعلا المقامات . الحقد . هو اخفاء العداوة فى القلب لمحل القدرة على الانتقام . الحسد هو كراهة ان تكون النعمة على الغير فيحب زوالها وهو المذموم من نوعى الحسد وأما الحسد الذى هو غبطة فهو ان لا يكره النعمة على الغير ولا يريـــد زوالها ولكن يريد لنفســـه مثلها وهذا الحسد محمود : حق اليقين : هو فناء صفات العبد فى صفات الحق وبقائه به علما وشهودا وحالا لا علما فقط فالذى يفنى من العبد على التحقيق صفـــات لا ذاتـــه : فى ذات الحق كما يفهمه الجاهلون الذين كذبوا على الله بل ان العبد كلما تقرب الى الله تعالى بالعبودية وتخلى عن جميع الصفات المناقضة لها وهبه الله تعالى فضلا من صفاته اى صفات حميدة حقيقية عوضا عما فنى منه من الصفات الذميمة الخلقية والله تعالى هو القادر على كل شىء فاذا ماشاء ذلك اذهب عن العبد مافيه من الخبائث واعده بما يعجز عنه كل ما سوى الله فلا مانع لما اعطى ولا معطى لما منع : هذا وقد مثلوا لذلك مثالا . وهو ان القطعة من الفحم اذا وقع عليها ضوء النار لا بسبب المقابلة بل بسبب وقوع ضوء النار على الملاصق . . .

وانعكاسه عليها كان ذلك مثلا لعلم اليقين فاذا وقع ضوء النار عليهـــا بسبب المقابلة ولم يكن بينها وبين النار حجابا كان ذلك مثلا لعين اليقين واما اذا كانت قطعة الفحم بجانب النار بحيث تشتعل من حرارتها وتفنى اوصافها فى اوصاف النار بحيث تتبدل ظلمتها باشراق النار ورودتها بحرارة النـــار

وفعالها بفعل النار كان ذلك مثلا لحق اليقين وهذا التحقيق ماخوذ من كلام الشيخ محي الدين رضى الله عنه ومن كلام غيره حيث قال لاتعتقد ان ذات العبد تفنى فى ذات الحق فلا يبقى الا الحق فان هذا ضلال وجهل لا يرضى به المحققون وان وقع من اصحاب الشطح ما يشعر بذلك فالشطح مردود على اهله : الخمول : ضد الحياة وهو انخماد ذكر السالك بالكلية : الرياء هو طلب العبد بقلبه رؤية الناس اعماله . وهو نوعان .ظاهر وخفى الظاهر منه ان يحمله هذا الطلب على العبادة أو على تحسينها والخفى هو الذى لا يحمل على العبادة ولا على تحسينها ولكن يجب ان يطلع الناس على عبادته:السر: هو اللطيفة المدركة وهو باطن الروح فان تنزل درجة كان روحا . واذا تنزل درجة اخرى سمى قلبا وجمعه اسرار : الشريعـــة : هى فعل المامورات وترك المنهيات : الشطح : عبارة عن كل كلمة تبدوا عليها رائحة الرعونة والدعوى وهو من زلات السالكين : الشوق تأجج القلوب الى لقاء المحبوب : الشهود : رؤية الحق بالحق : الطب الروحانى : هو العلم بكلمات القلوب وآفاتهـــا وامراضها ودواؤها وكيفية حفظ صحتها واعتدالهـــا : الطبيعة : هى القوة السارية فى الاجسام بها يصل الجسم الى كماله الطبيعى وهى سر من اسرار الله تعالى تصدر عنها الافعال من غير شعور : الطريقة: هى تتبع اعمال النبى صلى الله عليه وسلم والعمل بها :

الطمس : ذهاب رسوم السالك بالكلية فى صفات الله تعالى وهو اعلا انواع الفناء : الطهارة: هى حفظ الله تعالى لعبده من المخالفات : طاهر الظاهر : هو من حفظه الله تعالى من المعاصى : طاهر الباطن : هو من حفظه الله تعالى من الوساوس: طاهر السر :هو : من لا يذهل عن الله طرفة عين .

ظاهر السر والعلانية : هو من قام بتوفية حقوق الحق والخلق مما لسمته رعاية الجانبين : الطوالع هي أول ما يبدوا من تجليات الاسماء على باطن السالك فتحسن اخلاقه بها لانها تنور باطنه : الظل: هو الوجود الاضافى المنبسط على الممكنات واحكامها التى هى معدومات فى نفسها وهو النفس الرحمانى وتسميه الحكماء بالطبيعة . وتسمية الوجود بالظل لقوله تعالى . الم تر الى ربك كيف مد الظل . اى بسط الوجود على الممكنات . وتسميته بالنفس الرحمانى تشبيها له بنفس الانسان المختلف بصور الحروف مع كونه هواء ساذجا فى نفسه وتشبيهاً لأعيان الموجودات بالكلمات الإنسانية وكما تدل كلمات الانسان على المعانى كذلك تدل أعيان الموجودات على موجدها وعلى أسمائه وصفاته قال تعالى . قل لو كان البحر مداداً لكلمات ربى لنفد البحر قبل أن تنفد كلمات ربى ولو جئنا بمثله مدداً . فالمراد من الكلمات أعيان الموجودات (١) وكما أن لكل كلمة من كلمات الانسان معنى غير المعنى الذى للكلمة الأخرى فكذلك لكل عين من أعيان الموجودات سر غير السر الذى فى العين الأخرى يطلع الله تعالى عليه خواص عباده ويحجبه عن غير الخواص ومثل ذلك كالكلمات المكتوبة فى رق مثلا . إذا نظر فيها القارىء قرأها وفهم منها معناها . وإذا رآها غير القارىء لم يفهم منها شيئاً ولا يراها إلا خطوطاً متداخلة بعضها فى بعض فسبحان المعطى المانع جل وعلا . العبودية

---

(١) أعيان الموجودات ذواتهم فكل موجود كلمة . قال تعالى انما أمره اذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون . وقال تعالى فى عيسى عليه السلام انما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته القاها الى مريم وروح منه وقال تعالى ان مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب ثم قال له كن فيكون

هى الوفاء بالعهود وحفظ الحدود والرضا بالموجود والصبر على المفقود
العجب: هو تكبر يحصل فى الباطن بتخيل كمال من علم أو عمل : العماء : هو
المرتبة المطلقة عن الاطلاق والتقيد المتعالية عن التعالى والتدان وهو البطون
الذاتى العمائى الذى لايتصف بالحقية ولا بالخلقية وفيه تضمحل الأسماء
والصفات كالأحدية : والاحدية قد يفهم معناها والعماء لايفهم معناه وليس
فيه تجلى الاله تعالى وليس للمخلوق فيه نصيب . وهذا التجلى هو تجلى الذات
الذى سرآته ممتنع فافهم . وفيه قال الصديق رضى الله عنه . العجز عن درك
الأدراك ادراك . فالسالك يكشف له فى كل مقام من المقامات عن نور من
أنوار الذات وذلك بحسب استعداده فيعرف بذلك النور ربه وخالقه فان
سلك جميع المقامات وظن أنه قد تمت معرفته بربه وصل إلى مقام يتحقق فيه
أن الذات شىء خاصيته أنه لايعرف . فيقول عند ذلك . العجز عن درك
الادراك ادراك . يعنى أنه قد أدرك أن الذات لاتعرف وهذا أرقى المقامات
فافهم . ولاتظن أن صاحب هذا المقام لن يدرك شيئاً لأن من لم يصل إلى
هذا المقام فهو ناقص المعرفة ومن وصل اليه فهو كامل المعرفة . وقد وصل
إلى هذا المقام القطب المعروف بالواسطى وقد سئل رضى الله عنه عن ذلك
أى عن حقيقة الحق فقال . حقيقته لايعلمها إلا الحق . وفى هذا المقام
يقول السالك رب زدنى فيك تحيراً . يعنى الحيرة المقبولة التى تتكثر وتتنوع
فيها التجليات الاسمائية والصفاتية لا الحيرة المذمومة الحاصلة فى أول السلوك
فافهم فانه دقيق : علم اليقين : هو العلم الحاصل من الدليل العقلى . عين اليقين :
هو العلم الحاصل بالمشاهدة : الغرور هو اعتقاد الشىء على خلاف ماهو عليه
وهو نوع من الجهل : وأصناف المغترين كثيرة . فالعباد يكون منهم مغترون

وكذلك الصوفية وأهل الدنيا وأهل العلم . الغضب . هو قوة حمية بها يغلى دم القلب لطلب الانتقام . الفرق الأول هو أن يحجب السالك بالخلق عن الحق فلا يرى إلا الخلق وهو حال المبتدى من السالكين والعوام . الفرق الثانى . هو شهود قيام الخلق بالحق ورؤية الوحدة فى الكثرة والكثرة فى الوحدة بغير أن يحجب السالك باحدهما عن الآخرى . الفرق الثانى يقال على ماذكرناه فى حق اليقين . ويقال على الأوصاف المذمومة بكثرة الرياضة . ويقال على عدم الاحساس بعدم الملك . الفيوانية . خطاب الحق للسالك بطريق المكافحة فى عالم المثال . القبض والبسط . حالتان تحصلان للسالك المتوسط فى الطريق . كما أن الخوف والرجاء للمبتدى . القبض والبسط يردان على قلب العارف بغير سبب . والخوف والرجاء يتعلقان بأمر يقع فى المستقبل محبوب أو مكروه . الكبر . صفة فى النفس تنشأ عن رؤيتها ومايظهر من التكبر والتعاظم فى الظاهر فهو أثر لتلك الصفة . الكون هو العالم أعنى ماسوى الله . كيماء السعادة . التخلى عن الأوصاف الذميمة . والتحلى بالأوصاف الحميدة . كيماء العوام . استبدال المقام الأخروى الباقى بالحطام الدنيوى الفانى . كيماء الخواص . تخليص القلب من الكون بإيثار المكون . المرشد المسالك . هو الشيخ العارف بذلك الطريق القادر على الارشاد . المراقبة . هى استدامة علم العبد باطلاع الرب عليه فى جميع أحواله . المعاذير . هى رؤية الحق فى كل ذرة من ذرات الوجود مع تنزيهه عما لايليق بعظمته . المحبة هى ميل الطبع إلى الشىء لكونه لذيذاً . ومحبة السالكين هى ميل قلوبهم إلى جمال الحضرة الالهية . الملكوت . هو عالم الغيب المختص بالأرواح والنفوس المجردة . المرتبة الأحدية . هى المرتبة المستهلك فيها جميع الأسماء والصفات وتسمى جمع

الجمع . النفس الشهوانية . هى البخار اللطيف الحامل للحياة والحس والحركة الارادية وتطلق عليها الحكماء الروح الحيوانى وهو جوهر مشرق على البدن فاذا أشرق على ظاهر البدن وباطنه حصلت اليقظة . وان أشرق على باطن البدن دون ظاهره حصل النوم . وان انقطع اشراقه بالكلية حصل الموت فسبحان الصانع الحكيم . النفس الناطقة . هى جوهر مجرد عن المادة فى ذاته مقارن لها فى أفعاله . وهذه التى تسمى بالامارة . واللوامة . والملهمة والمطمئنة . والمرضية . والراضية . والكاملة . فكلما اتصفت بصفة سميت لأجل اتصافها باسم من هذه الأسماء . فان صافت النفس الشهوانية المذكورة آنفا ووا فقتها وصارت تحت حكمها سميت أمارة . وإن سكنت تحت الأمر التكليفى واذعنت للاتباع إلا أنه بقى فيها ميلا للشهوات سميت لوامة . فان زال هذا الميل وقويت على معارضة النفس الشهوانية وزاد ميلها إلى عالم القدس وتلقت الالهامات سميت ملهمة . فان سكن اضطرابها ولم يبق للنفس الشهوانية حكم أصلا ونسيت الشهوات بالكلية سميت مطمئنة . فان ترقت عن هذا وسقطت المقامات من عينها وفنيت عن جميع مرادها سميت راضية فان زاد هذا الحال عليها صارت مرضية عند الحق والخلق . فان أمرت بالرجوع إلى العباد لارشادهم وتكميلهم سميت كاملة . هذا . ونذكر أوصاف كل نفس فى بابها ونذكر علاماتها ومبادئها وأصولها وعالمها ومحاسنها وقبائحها وما يحصل للسالك من خوارق العادات بسبب اتصاله بواحدة منهن وما يخص كل نفس من الأذكار وغير ذلك مما سيرد عليك مفصلا فى محله إن شاء الله تعالى . ثم اعلم ان هذا الجوهر المذكور المسمى بالنفس الناطقة له أسماء أخرى . فيقال له القلب . ويقال له الطبيعة الإنسانية ويقال

له حقيقة الانسان وهو المدرك العالم المخاطب بالاوامر الشرعية والمطالب بها وان لهذا الجوهر ظاهرا ومركبا وهو النفس الشهوانية المذكورة آنفا وان له باطنا وهو الروح ولباطنه باطن وهو السر والسره باطن وهو سر السر ولسر السر باطن هو الخفى والخفى باطن وهو الاخفى وباطن الشيء حقيقته ومادته ويتضح لك أمر الباطن وباطن الباطن فى مثال أضربه لك وهو ان السرير مثلا شيء باطنه قطع الخشب وقطع الخشب باطنها الشجر والشجر باطنه العناصر الأربع والعناصر الاربع باطنها الهيولى الاولى فافهم هذا التحقيق فأنك لا تراه على هذه الكيفية فى كتاب آخر لأنك تسمعهم يقولون الشيء الفلانى باطن الشيء ولكن لا تعلم حقيقة الباطن فاذا عرفت هذا عرفت أن هذا الامر الواحد الربانى حال كونه فى غاية اللطافة والخفى يسمى بالاخفى وحال تنزله درجة واحدة وتكاثفه يسمى بالخفى وحال تنزله درجة ثانية وتكاثفه تكاثفا أقوى من الاول يسمى بسر السر ثم كذلك يسمى بالسر ثم كذلك فيسمى بالروح ثم كذلك فيسمى بالقلب وبالنفس الناطقة وباللطيفة الانسانية وبحقيقة الانسان فى هذه الدرجة يسمى باربعة اسماء وان تنزل درجة اخرى فيسمى حينئذ بالانسان الحيوانى وبالنفس الامارة واعلم أن المراد من سلوك طريق التصوف ترقى هذا الامر الربانى شيئا فشيئا الى مقامه الاول بالعلاجات والادوية التى وصفها أكمل الكاملين وروح المرشدين وحبيب رب العالمين محمد عليه من الله أفضل الصلاة وأتم التسليم وهى الصيام والقيام وقلة الكلام والشفقة على الانام والذكر المدام والفكر التمام وأكل الحلال وترك الحرام وغير ذلك مما سيذكر مفصلا ان شاء الله تعالى من غير خروج عن دائرة الشرع ولا مقدار ذرة لان كل

من تداوى بغير دواء الشرع لا يشفى مرضه بل يزداد مرضا على مرضه وإذا كان السالك الطالب للكمال فى الدرجة الاخيرة أعنى درجة الانسان الحيوانى وكانت نفسه أمارة بالسوء فدواؤه الذى يرتقى به الى درجة القلب لا اله إلا الله لكن ينبغى أن يكون ذكره فى جميع أوقاته ويكون بالجهر والشدة والقوة لينبه أعضاءه من الغفلة وان كان السالك فى درجة القلب وأراد الترقى الى مقام الروح فدواؤه تقليل الطعام والمنام والذكر بلفظة الله مع الاكثار آناء الليل والنهار وسنذكر فى الابواب الآتية جميع مايحتاج اليه السالك فى سفره من الادوية التى يترقى بها درجة بعد درجة الى أن يصل إلى ماتنزل منه وهو الصورة الآدمية التى كانت قبلة للملائكة والله المستعان وهو المراد فى الشهود والوجود ولا انكار ولا جحود ولا حول ولا قوة الا بالله العلى العظيم رب يسر ولا تعسر وأنت الكريم

الباب الأول

﴿ فى ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها ﴾

اعلم ان الدنيا عبارة عن كل ماقبل الموت خيرا كان أو شرا ولذلك استثنى منها النبى صلى الله عليه وسلم حين ذمها ماهو خير فقال الدنيا ملعونة ملعون مافيها الا ما كان لله عز وجل وفى رواية أخرى الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه وعالما ومتعلما وفى رواية أخرى الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا أمرا بمعروف أو نهيا عن منكر وذكر الله تعالى وفى رواية الا ما ابتغى فيه وجه الله عز وجل فهذه الاشياء التى استثناها المصطفى صلى الله عليه وسلم هى من الدنيا أيضا لانها وجدت فى هذا العالم وانما أخرجها لانها تصحب العبد بعد الموت وقال صلى الله عليه وسلم حبب الى من دنياكم ثلاثة النساء والطيب وقرة عينى فى الصلاة فجعل الصلاة من الدنيا لدخول حركاتها فى

الحس والمشاهدة الظاهرة فعلم من هذا أن كل لذة لها ثمرة بعد الموت فهى ليست من الدنيا بل هى من الآخرة وأما الاشياء التى فيها لذات عاجلة ولا ثمرة لها بعد الموت فهى الدنيا الملعونة كالمعاصى والمباحات الزائدة على الحاجات وبقى قسم ثالث متوسط بين القسمين المذكورين وهو كل حظ فى العاجل يعين على أعمال الآخرة كقدر الحاجة من المساكل والمشرب والملبس والمنكح فهذا من القسم الاول المحمود وهو معدود من الآخرة أيضا لانه يعين عليها فعلى هذا اذا أكل الرجل فى نصف بطنه يكون قد التذ بالطعام وأرضى مولاه فيحوز حظ الدنيا والآخرة ولذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم البسوا وكلوا واشربوا فى أنصاف البطون فأنه جزء من النبوة. اذا عرفت هذا عرفت ان الدنيا هى كل شىء يشغلك عن الله عز وجل وكل شىء يعينك على التوجه اليه فهو أخرى وان كان من حيث الصورة معدودا من الدنيا لانه وجد فى هذا العالم وقد بين الله تعالى حقيقة الدنيا بقوله (انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الاموال والاولاد كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفرا ثم يكون حطاما وفى الآخرة عذاب شديد ومغفرة من الله ورضوان وما الحيوة الدنيا الا متاع الغرور)(١) ومنبع هذه الخبائث من سبعة أشياء ذكرها الله تعالى فى كتابه العزيز بقوله (زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا والله عنده حسن المآب) فهذه السبعة تكون بها

(١) الدنيا محصورة فى هذه الاشياء التى ذكرها الله عز وجل لأن الايجاز فى مقام البيان يفيد الحصر . وكل ما كان فيها بحكم الوطن من أعمال الخير فهو وجه من وجوه الآخرة تجلى به الحق فى هذه الحياة . وابتغ فيما أتاك الله الدار الآخرة .

الخبائث والقبائح وليست هى فى نفسها أمورا مذمومة بل قد تكون معينة على الاخرة اذا صرفت فى محلها ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم ماد حالالمال لاحسد الا فى اثنتين رجل آتاه الله مالا فهو ينفق منه آناء الليل وآناء النهار ورجل آتاه الله القرآن فهو يقوم به آناء الليل وآناء النهار وقال أيضاً إن الله يحب العبد الغنى الخفى فماورد فى الأحاديث من ذم الدنيا فهو فى حق الدنيا التى هى بعيدة عن الله ورسوله وهى اللهو واللعب والزينة والتفاخر والتكاثر وغير ذلك مما يلهى القلب عن حضرة الرب قال النبى ﷺ الدنيا لا تصفو لمؤمن كيف وهى سجنه وبلاؤه وقال عليه الصلاة والسلام من أحب دنياه أضر بآخرته ومن أحب آخرته أضر بدنياه فآثروا ما يبقى على مايفنى وقال أيضاً حب الدنيا رأس كل خطيئة وقال أيضاً يا عجباً كل العجب المصدق لدار الخلود وهو يسعى لدار الغرور وقال أيضاً ان الدنيا حلوة خضرة وأن الله مستخلفكم فيها فينظر كيف تعملون إن بنى إسرائيل لما بسطت لهم الدنيا ومهدت تاهوا فى الحلية والفساد والطيب والثياب وقال عيسى عليه السلام لاتتخذوا الدنيا ربا فتتخذكم عبداً اكنزوا كنزكم عند من لا يضيعه فان كان صاحب الدنيا يخاف عليها الآفة فصاحب كنز الله تعالى لا يخاف عليه الآفة وقال نبينا محمد ﷺ فى بعض خطبه المؤمن بين مخافتين بين أجل قد مضى لم يدر ما الله صانع به وبين أجل قد بقى لايدرى ما الله قاض فيه فليتزود العبد من نفسه لنفسه ومن دنياه لآخرته ومن شبابه لهرمه ومن حياته لموته وان الدنيا لكم خلقت وأنتم خلقتم للآخرة والذى نفسى بيده ما بعد الموت مستعتب ولا بعد الدنيا دار إلا الجنة أو النار وقال زيد بن أرقم كنا مع أبى بكر الصديق رضى الله تعالى عنه فدعى بشراب فاوتى بماء وعسل ولما

أدناه من فمه بكى حتى أبكى أصحابه وسكتوه فسكت ثم عاود وبكى حتى ظنوا أنهم لايقدرون على تسكيته ثم سكت ومسح عينيه فقالوا ياخليفة رسول الله ما أبكاك هذا البكاء قال كنت مع رسول الله ﷺ فرأيته يدفع عن نفسه شيا ولم أرى معه أحدا وقلت يارسول الله ما الذى تدفعه عن نفسك قال هذه الدنيا مثلت لى وقلت لها اليك عنى ثم رجعت فقالت انك إن أفلت منى لم يفلت منى من بعدك وعن جابر رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ مر بجدى أسك يعنى صغير الأذن وهو ميت فقال ايكم يحب أن هذا له بدرهم فقالوا ما نحب أنه لنا بشىء فقال فوالله لا الدنيا أهون على الله من هذه عليكم وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه أن النبى ﷺ قال إنما أخاف من بعدى ما يفتح عليكم من زهرة الدنيا وزينتها وقال رجل يارسول الله أويأتى الخير بالشر يعنى إنما يفتح علينا من الغنائم والأموال خير وهل يأتى الخير بالشر فسكت رسول الله ﷺ حتى ظننا أنه ينزل عليه الوحى قال فمسح النبى ﷺ عنه العرق وقال أين السائل وكأنه حمده فقال أنه لا يأتى الخير بالشر وأن مما ينبت الربيع ما يقتل حبطاً أو يلم إلا أكلت الخضر إذا أكلت حتى إذا امتدت خاصرتاها استقبلت عين الشمس فثلطت وبالت ثم عادت فاكلت وان هذا المال خضرة حلوة فمن أخذ بحقه ووضعه فى حقه فنعم المعونة هو ومن أخذه بغير حقه كان كالذى يأكل ولا يشبع ويكون شهيداً عليه يوم القيامة والحبط بالحاء المهملة أن تأكل الدابة حتى تنتفخ بطنها وتهلك من كثرة أكلها وقوله يلم أن يقرب من الهلاك وثلطت بالمثلثة أى ألقت ما فى بطنها رقيقاً فحاصل هذا الحديث الشريف أن المال قد يكون سبباً لدمار صاحبه وهلاكه فى الآخرة وذلك إذا صرفه فى المعاصى وتوصل به إلى الشهوات النفسانية

مع أن المال خير فينبغي أن يتوصل به إلى مرضاة الله عز وجل وقوله وأن مما ينبت الربيع يعني مثال كثرة المال كمثال ماينبت في فصل الربيع فان بعض النبات حلو في فم الدابة وهي حريصة على أكله ولكن ربما تأكل كثيراً فيحصل بها داء من كثرة الأكل فتموت او تقرب من الموت وإن لم تأكل الدابة إلا بقدر ما يسعه كرشها فتأكل وتترك الأكل حتى ينهضم ما أكلته فلا يضرها الأكل وكذلك من حصل له مال كثير فان توصل به إلى كثرة الأكل والشرب والتجمل بين الناس قسى قلبه وكبرت نفسه ورأى نفسه أفضل من غيره فحقره وتعاظم عليه ومن قسى قلبه منع ما أوجب الله تعالى عليه من الزكاة وأداء الكفارات وغير ذلك ومن كانت هذه صفاته كان المال شراً له ولاشك أنه يبعده من الجنة ويقربه من النار وإن أدى حقوق المال ولم يحتقر الناس ولم يفتخر عليهم ولا يشتغل بجمع المال بحيث تفوته طاعة من الطاعات ويحسن إلى الناس كان المال خيراً له كما قال النبي ﷺ نعم المال الصالح الرجل الصالح فعلم مما تقرر أن المال في نفسه ليس خيراً ولا شراً وإنما الخير والشر في نفس الرجل فان صرفه في الخير كان خيراً وإن صرفه في الشر كان شراً قال النبي ﷺ تعس عبد الدينار وعبد الدرهم وعبد الخميصة وهذا دعاء منه لمن ترك عمل الآخرة واشتغل بجمع المال والتذ بالملابس الحسنة لأن الخميصة من الملبوس الحسن وقال ﷺ حفت النار بالشهوات وحفت الجنة بالمكارة وفي رواية حجبت ومعنى حجبت أي سترت والمعنى أن من اتبع الشهوات وقع في النار بفعله وهو لا يبصرها بل يبصر مشتهاه ومن تحمل المشقة الدنيوية والمكاره الإسلامية فقد دخل الجنة أي عمل مايؤديه اليها وهو لا ينظر إلى الجنة بل إلى المكاره وقال ﷺ فوالله لا الفقر

أخشى عليكم ولكن أخشى عليكم أن تبسط عليكم الدنيا كما بسطت على من قبلكم فتنافسوها كما تنافسوها وتهلككم كما أهلكتهم يعنى فترغبون فيها فيكثر اشتغالكم فى جمعها فتقل طاعتكم ويحصل بينكم العداوة بسببها وقال اللهم اجعل رزق آل محمد قوتاً كفافاً وقال أيضاً قد أفلح من أسلم ورزق كفافاً وقنعه الله بما آتاه وعن مطرف عن أبيه قال أتيت النبى ﷺ وهو يقرأ الهاكم التكاثر قال يقول ابن آدم مالى مالى فهل لك يا ابن ادم من مالك إلا ما أكلت فأفنيت أو لبست فأبليت أو تصدقت فأمضيت وقال ﷺ ليس الغنى عن كثرة العرض ولكن الغنى غنى النفس يعنى ليس الغنى من كثر متاعه وحطام دنياه ولكن الغنى من قنع بما أعطاه الله وقال أيضاً أن الله يقول ابن آدم تفرغ لعبادتى أملأ صدرك غنا وأسد فقرك وإن لم تفعل ملأت يدك شغلا ولم أسد فقرك وقال ﷺ لرجل وهو يعظه اغتنم خمساً قبل خمس شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك قبل موتك وعن أبى هريرة رضى الله عنه أنه قال قال رسول الله ﷺ ماينتظر أحدكم الا غنى مطغياً أو فقرا منسياً أو مرضاً مفسداً أو هرماً مفندا أو موتاً مجهزاً أو الدجال والدجال شر غائب ينتظر أو الساعة والساعة أدهى وأمر يعنى أن أحدكم ينتظر لهذه الأمور فلو لم تحصل الأعمال الصالحة يتوجه الى الله بمجاهدة نفسه قبل أن ياتيه شىء من الاشيـــاء المذكورة فتشغله عن طاعة ربه لان الغنى يطغيه فيمتنع عن الطاعة والفقر ينسيه الطاعات لما فيه من الجوع والعرى والمرض يفسد قواه والهرم يضعفه ويعجزه ويكره الناس فيه من كثرة كلامه لان معنى المفند الكلام المنحرف عن الصحة ويقال أفند الرجل اذا كثر كلامه من الكبر والموت المجهز هو

المسرع وقوله أو الساعة بالنصب عطف على غنى وقوله والساعة بالرفع مبتد او خبره أدهى يعنى أن الرجل فى الدنيا متعرض لهذه الاحوال المذكورة وبعدها ماهو أشد و أمر وهو الساعة الموعودة فالسعيد من اشتغل بما ينجيه ويرفع قدره ويترك مايرديه ويحرقه فى الآخرة قبل نزول هذه الحالات وقال النبى صلى الله عليه وسلم لا تتخذوا الضيعة فترغبوا فى الدنيا نهى عن اتخاذ الضيعة وهى البساتين والمزارع لان الخلق خلقوا للعبادة وسر العبادة الذكر والفكر فى جلاله وجماله تعالى بالقلب الفارغ عن جميع الاغيار وصاحب الضيعة يصبح ويمسى متفكرا فى خصومة الفلاحين والشركاء وأعوان السلطان وخيانة المذكورين له وأخذهم ماله وغير ذلك واعلم ان كل مايشغل قلبك من أصناف الاموال فهو كالضيعة وانما خصها صلى الله عليه وسلم بالذكر لانها الاغلب فى ذلك ويدخل فى هذا كل الصنائع والحرف والتجارة لان الضيعة تطلق على كل ما يكون منه معاش الرجل وقال صلى الله عليه وسلم ماذئبان جائعان أرسلا فى غنم بافسد لها من حرص المرء على المال والشرف لدينه يعنى حرص الانسان على المال والشرف أفسد لدينه من افساد الذئبين للغنم والمراد بالشرف الجاه والعز والرياسة والمناصب وعن ابن مسعود رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم نام على حصير فقام وقد أثر فى جسده الشريف فقال ابن مسعود يارسول الله لو أمرتنا أن نبسط لك يعنى فراشا ونعمل لك يعنى بيتا حسنا فقال مالى والدنيا وما أنا والدنيا الا كراكب استظل تحت شجرة ثم راح وتركها وعن أبى أمامة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم قال أغبط الاولياء عندى لمؤمن خفيف الحاذ له حظ من صلاة وصيام أحسن عبادة ربه وأطاعه فى السر وكان غامضا فى الناس لايشار

اليه بالاصابع وكان رزقه كفافا وصبر على ذلك ثم نقد صلى الله عليه وسلم بيده فقال عجلت منيته قلت بواكيه قل تراثه فقوله اغبط الاولياء أى أقربهم وأحبهم وأجلهم من كان موصوفا بهذه الصفات وقوله خفيف الحاذ بالذال المعجمة واللام يعنى قليل الحال وقوله نقد بيده بالنون والقاف والدال المهملة وفى رواية نقر بيده بالراء أى صوت بيده يعنى ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم ابهامه بوسطاه حتى سمع منه صوت وهذا فعل من عجب من شىء أو رأى شيئا حسنا أو ظهر فى نفسه قلة المبالاة بشىء أو أظهر طربا يعنى من كانت هذه صفاته فهو بمنزلة يتعجب من حسن حاله وقله حزنه وعدم مبالاته بالدنيا وكثرة طربه وقال عليه الصلاة والسلام عرض على ربى ليجعل لى بطحاء مكة ذهبا فقلت لا يارب بل أكون نبيا عبدا أشبع يوما فان جعت تضرعت اليك وذكرتك وان شبعت حمدتك وشكرتك وعن المقدام بن معدى كرب قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ما ملأ آدمى وعاء شرا من بطن بحسب ابن آدم أكيلات يقمن صلبه فان كان لا محالة فثلث طعام وثلث شراب وثلث لنفسه وعن ابن عمر رضى الله عنهما ان رسول الله صلى الله عليه وسلم سمع رجلا يتجشأ فقال له أقصر من جشائك فان أطول الناس جوعا يوم القيامة أطولهم شبعا فى الدنيا وقال ابن عباس رضى الله عنهما ان الله عز وجل جعل الدنيا ثلاثة اجزاء جزء منها للمؤمن وجزء للمنافق وجزء للكافر فالمؤمن يتزود والمنافق يتزين والكافر يتمتع واعلم أيها الاخ الراغب فى بديع الجمال ومنيع الوصال ان الاحاديث الواردة فى ذم الدنيا وأهلها لا تحصى وماذكرناه يكفى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد وأما من كان محباً فى الدنيا راغباً فى شهواتها منهمكا فى طلبها فلا تفيده

الأحاديث ولا غيره ومن أحب الله تعالى عادى عدوتيه وهما الدنيا والشيطان لأنه تعالى لم ينظر اليها منذ خلقها قال عيسى عليه السلام من ذا الذى يبنى على موج البحر دارا ويلكم الدنيا لاتتخذوها قرارا وقال أيضاً يامعشر الحواريين اردتم ارضوا بدنيء الدنيا مع سلامة الدين كما رضى أهل الدنيا بدنيء الدين مع سلامة الدنيا ولذا قال بعضهم شعرا

يا خاطب الدنيا إلى نفسها تنحى عن خطبها تسلم
ان الذى تخطب غدارة قريبة العرس من المأتم

وقال آخر

ياراقد الليل مسرورا بأوله إن الحوادث قد يطرقن أسحارا
أفنى القرون التى كانت منعمة كر الجديدين اقبالا وادبارا

وقال حجة الإسلام الغزالى رحمه الله تعالى مثال العبد فى نسيانه نفسه وربه مثل الحاج الذى يقف فى بعض منازل الطريق ولا يزال يعلف ناقته ويتعهدها بألوان المأكول والحشيش ويبرد لها الماء حتى تفوت القافلة وهو غافل عن الحج ومرور القافلة وعن بقائه فى البادية وحده فريسة للسباع هو وناقته فكذلك الرجل إذا اشتغل فى تحسين أكله وشربه وملبسه ونحو ماخلق من أجله وهو العمل الصالح انقطع فى دار الوحشة والظلمة وصار فريسة للشيطان والعياذ بالله تعالى

فالعاقل لا يهمه أمر نفسه ودنياه إلا بقدر مايقوى به على سلوك طريق الآخرة فالسعيد من عرف ماخلق له واستعد له وعمل عما سواه(١) فلم يغدم

(١) لكل شيء غاية ولكل غاية وسيلة والغاية من الايجاد أنت أيها الانسان . فكل شيء فى الوجود خلق من أجلك وأنت خلقت لله. ومن الضلالة أن تشغل بما خلق من أجلك عمن خلقت أنت من أجله فالعاقل من جعل دنياه لآخرته وجعل آخرته لله قل ان صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين لاشريك له .

على الدنيا إلا للحاجة والضرورة. والشقي من غلبته الشهوة والغفلة فيسعى ويكتسب حتى يأكل ويلبس وينعم ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري وعلانيتي ولا يخفى عليك شيء من أمري وأنا البائس الفقير المستغيث المستجير الوجل المشفق المقر المعترف بذنبه أسألك مسألة المسكين وابتهل اليك ابتهال المذنب الذليل وأدعوك دعاء الخائف الضرير من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبراته وذل لك جسمه ورغم لك أنفه لا تجعلني بدعائك شقياً وكن بي رءوفاً رحيما اللهم ياخير المسئولين وياخير المعطين نجني واخواني مما يقطعنا عن جنابك واجعلنا هادين مهتدين غير ضالين ولا مضلين سلماً لأوليائك عادوا لأعدائك نحب بحبك من أحبته ونعادي بعداوتك من عاديته وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

الباب الثاني

﴿في الحث على سلوك هذه الطريقة وبيان فضلها﴾

اعلم أن طالب الكمال من أشرف الخصال والكمال هو التحلي عن الأوصاف الذميمة والتحلي بالاوصاف الحميدة فالأوصاف الذميمة هي الجهل والغضب والحقد والحسد والبخل والتعاظم والتكبر والعجب والغرور والرياء وحب الجاه والرياسة وكثرة الكلام والمزاح والتزين للخلق والضحك والتهاجر وتتبع العورات والأمل والحرص وسوء الخلق

وأما الأوصاف الحميدة التي ينبغي الاتصاف بها لطالب الكمال فهي العلم والحلم وصفاء الباطن والكرم والتذلل والرفق والتواضع والصبر والشكر

والزهد والتوكل والمحبة والشوق والحياء والرضا والاخلاص والصدق والمراقبة والمحاسبة والتفكر والشفقة والرحمة على الخلق والحب فى الله والتأنى فى الأمور والبكاء والحزن وحب الخمول وحب العزلة وسلامة الصدر والنصح وقلة الكلام والخشوع والخضوع والحضور وانكسار القلب وحسن الخلق

والمراد من سلوك طريق التصوف هو الاتصاف بالكمال والخلاص من قبيح الخصال . وهذا شىء مطلوب مأمور به (١) أما الخلاص من الغضب فلقوله ﷺ ماغضب أحد إلا أشفى جهنم وروى أبو هريرة أن رجلا قال يارسول الله مرنى بعمل وإن قل قال لا تغضب . ثم أعاد عليه الكلام فقال له لاتغضب وعن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال رسول الله ﷺ ماتعدون القوى منكم قلنا الذى لاتصرعه الرجال قال ليس ذلك ولكن الذى يملك نفسه عند الغضب ويكفى من قبح الغضب قبح صورة الغضبان الظاهرة وصورة باطنه أقبح وروى عن عائشة رضى الله عنها أنها غضبت مرة فقال لها جاء شيطانك فقالت ومالك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله فأعانني عليه فأسلم فلا يأمرنى إلا بخير وبالجملة فالغضب خصلة ذميمة تحصل من غليان دم

---

(١) لقد جعل الحق تبارك وتعالى فلاح العبد فلاحاً مطلقا فى دنياه وآخرته متوقفا على تزكيته لنفسه كما جعل خسران العبد فى الدنيا والآخرة متوقفا على عدم التزكية منه لنفسه فقال جل وعلا قد افلح من زكاها وقد خاب من دساها . فالتزكية بمثابة الشرط فى الفلاح والموقوف على الشىء يندم بانعدامه فمن لاتزكية لنفسه لا فلاح له . والتزكية هى الغاية من الرسالة المحمدية كما قال ﷺ : انما بعثت لاتمم مكارم الاخلاق : فترك التزكية ترك للغاية التى من أجلها شرع دين الله .

القلب لطاب الانتقام وضده الحلم وابتداؤه بالتحلم حتى يصير عادة ولذا قال عليه الصلاة والسلام العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوق الشر يوقه وقال ﷺ اطلبوا العلم واطلبوا مع العلم السكينة والحلم لينوا لمن تعلمون ومن تتعلمون منه ولا تكونوا جبابرة العلماء فيغلب جهلكم علمكم وقال عليه الصلاة والسلام لأصحابه ابتغوا الرفعة عند الله قالوا وما هي يارسول الله قال تصل من قطعك وتعطي من حرمك وتحلم على من جهل عليك والأحاديث التي في ذم الغضب ومدح الحلم كثيرة ولا يتوصل إلى الخلاص من الغضب المذموم بالكلية والاتصاف بالحلم المحمود الذي يصير طبيعة إلا بسلوك سبيل التصوف. لأن به تنكسر قوة الغضب ويدخل تحت سياسة العقل والشرع فحينئذ يصير في قبضة اليد مغلوبا وهو غالب فان غضب فلا يغضب إلا لله والغضب لله مقام عالى لا يقدر عليه إلا من ترقى إلى المقام الرابع الذي تسمى فيه النفس بالمطمئنة ومن ادعى وهو دون هذا المقام فهو كاذب تلبس عليه الحق بالباطل

قال علي رضي الله عنه كان النبي ﷺ لا يغضب للدنيا بل يغضب لله تعالى وإذا أغضبه الحق لم يعرفه أحد يعني من شدة غضبه على اظهار الحق واخفاء الباطل (وأما الحسد) فهو من قبيح الخصال أيضاً ولا يمكن قطع مادته بالكلية إلا بسلوك طريق التصوف كما سيأتي في الأبواب الآتية

قال ﷺ الحسد يأكل الحسنات كما يأكل النار الحطب وحقيقة الحسد أن يكره الإنسان نعمة الله تعالى على أخيه فيحب زوالها عنه وإن كان لا يكره ذلك لأخيه ولا يريد زوالها ولكن يريد لنفسه مثلها سمي غبطة وهو ليس مذموماً قال النبي ﷺ المؤمن يغبط والمنافق يحسد قال الله تعالى

(ولاتتمنوا مافضل الله به بعضكم على بعض) فالمراد من الآية النهى عن التمنى بانتقال تلك النعمة عنه اليه بعينها لأن تمنى أن ينعم عليه بمثلها غير مذموم ولا محمود هذا إذا كان فى الأمور الدنيوية أما إذا كان فى الدين فهو محمود

(واما الحقد) فهو قبيح أيضاً لأنه ينتج الحسد والتهاجر والتباغض والتقاطع وتتبع عورات من أنت حاقد له وقد قال النبى ﷺ لا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاثة فمن هجر فوق ثلاثة فمات دخل النار وقال أيضا لا تجسسوا ولا تحاسدوا ولا تباغضوا ولا تدابروا وكونوا عباد الله اخوانا وقال ﷺ دب اليكم داء الأمم قبلكم الحسد والبغضاء وهى الحالقة لا أقول تحلق الشعر ولكن تحلق الدين وعن ابن عمر رضى الله عنهما قال صعد رسول الله ﷺ المنبر فنادى بصوت رفيع فقال يامعشر من أسلم بلسانه ولم يفض الإيمان إلى قلبه لا تؤذوا المسلمين ولا تعيروهم ولا تتبعوا عوراتهم فانه من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته فضحه ولو فى جوف رحله وأعلم أن الهجر يجوز إذا كان لغرض شرعى ولذا هجر النبى ﷺ زوجته زينب أياما وذلك لأن النبى أمر زينب أن تعطى لصفية بعيراً فقالت أنا أعطى تلك اليهودية فغضب ﷺ فهجرها شهر ذى القعدة وذى الحجة ومحرم وبعض صفر

(أما البخل) فهو مما ذمه الله ورسوله قال الله تعالى ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون وقال تعالى (ولا يحسبن الذين يبخلون بما أتاهم الله من فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون بما بخلوا به يوم القيامة) وقال النبى ﷺ اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على أن سفكوا دماءهم واستحلوا محارمهم وقال أيضا السخى قريب من الله وبعيد من عذابه قريب

منى والسخى لايدخل النار وأنا رفيقه والبخيل لايدخل الجنة وابليس رفيقة وحقيقة السخاء أن تجود بما فضل عن حاجتك والايثار أعظم منه لأنه أرفع درجات السخاء وهو أن تجود بالمال مع الحاجة اليه (أما الكبر) فهو من الخصال المذمومة أيضاً كما قال الله تعالى (سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الأرض بغير الحق) وقال تعالى (كذلك يطبع الله على كل قلب متكبر جبار) وقال تعالى (وخاب كل جبار عنيد) وقال النبى ﷺ لايدخل الجنة من كان فى قلبه مثقال ذرة من الكبر وقال الله عز وجل فى الحديث القدسى الكبرياء ردائى والعظمة إزارى فمن نازعنى فى واحـــدمنهما القيته فى النار والكبر صفة فى النفس تنشأ من رؤية النفس

(وأما العجب فهو من الخصال المذمومة أيضا) ولذا قال ﷺ ثلاث مهلكات شح مطاع وهوى متبع وإعجاب المرء بنفسه وحقيقة العجب تكبر يحصل فى الباطن من تخيل كمال من علم أو عمل وينبغى للسالك إذا دخل عليه العجب أن يتفكر فى حال من مات على الكفر بعـــد ماكان عابدا لكونه أعجب بنفسه كبلعام بن باعوراء ويتفكر فى حال إبليس فانه طرد من رحمة الله تعالى لذلك وأن يقول لنفسه لا تعجبى بالعمل حتى تتحقق أن الله تعالى قبله لأن العمل الذى لم يتحقق قبوله لايعجب به صاحبه ولاشك أن الله تعالى ذم العجب فقال ويوم حنين إذ أعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئاً (وأما الغرور فهو من أسباب المالك كما قال الله تعالى (فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولايغرنكم بالله الغرور) والغرور هو اعتقاد الشىء على خلاف ماهو عليـــه وسكون النفس إلى مايوافق الهوى من الخيالات والشبه فهو نوع من الجهل وأنواع المغترين كثيرة فمنهم من اغتر بأن الله كريم رحيم وخاض فى المعاصى ولا

شك أن الله كريم رحيم ولكن جميع الآيات القرآنية دالة على أن كرمه ورحمته تعالى بتوفيقه فى الدنيا للخيرات قال الله عز وجل وافعلوا الخير لعلكم تفلحون وقال تعالى من يرد الله أن يهديه يشرح صدره للاسلام ومنهم من اغتر بصلاح آبائه وأجداد، وقربهم من الله تعالى ولم يتفكر فى قوله تعالى لنوح عليه السلام إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح وقوله تعالى (يا أيها الناس اتقوا ربكم واخشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئا إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا ولا يغرنكم بالله الغرور) ومنهم من اغتر بمجرد زى الصالحين والصوفية ورضى به وظن أن التصوف لبس الصوف فقط ومنهم من اغتر بخلع العذار وترك الأعمال ومنهم من اغتر بحفظ كلام السادات واصطلاحاتهم ومنهم من اغتر بما فتح الله عليه من المعرفة ووقف عندها لظنه أنه قد وصل وأحوال المغترين كثيرة فالذى يجب على السالك أن لا يغتر بشىء ولا يقف عند شىء ولا يرضى بسفساف الأمور بل يطلب التحقيق واليقين ويترك الشبه والأهواء ولا يعتقد الشىء إلا على ماهو عليه لأن للشيطان دسائس كثيرة ولا تجوز حيلته إلا على المغترين وسأذكر لك جملة قليلة من حيله فى الخاتمة ان شاء الله تعالى على ماذكره العارفون (وأما الرياء فهو حرام) لقوله تعالى فويل للمصلين الذين هم عن صلاتهم ساهون الذين هم يراءون .

وقال تعالى فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحا ولا يشرك بعبادة ربه أحدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم إن أخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر يارسول الله قال الرياء يقول الله يوم القيامة إذا جازى العباد باعمالهم اذهبوا الى الذين كنتم تراءون فى الدنيا

فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء واعلم أن المرائى لا شك أنه يريد أن يكون له فى قلوب الناس منزلة وهذا الذى يبعثه على الرياء وطالب طريق الحق يجب عليه ان يسعى على اسقاط منزلته من قلوب الخلق (وأما حب الجاه والرياسة) فانه مذموم قاطع عن طريق الله تعالى ولذا قال النبى صلى الله عليه وسلم حسب ابن آدم من الشر الا من عصمه الله تعالى ان يشير الناس اليه بالاصابع فى دينه أو دياه وقال على رضى الله عنه تذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك واكتم واصمت تسلم وتسر الابرار وتغيظ الفجار وقال ابراهيم بن أدهم قدس سره ماصدق من أحب الشهرة واعلم ان حب الشهرة مذموم وأما نفس الشهرة وهى انتشار الصيت فقد تكون محمودة وقد تكون مذمومة فان قصد بها تعظيم نفسه واحتقار غيره فهى مذمومه وان قصد بها ارشاد الخلق ونفعهم فهى محمودة مثاب عليها ولاشك ان جاه الانبياء والخلفاء الراشدين أوسع من كل جاه وهم مثابون عليه وعلامة الجاه المحمود أن يكون صاحبه كالمكلف فى حمله واذا جاء من ينوب عنه ويكفيه التعب فرح به واغتنمه ولم يغتظ منه بل يرى منته عليه وعلى كل حال متى مامال قلب السالك الى حب الجاه والرياسة انقطع عن الطريق فيجب عليه حب الخمول وتعاطى أسبابه وهى لبس الاشياء التى تسقط منزلته عند الناس حتى اذا دخل فى مكان لم يعتن به أحد ولا يرد عليه السلام وهذا حال المريد الصادق (وأما كثرة الكلام) فهى مذمومة لانها يتولد منها أمور محرمة وأمور مكروهة مثل ذكر المعاصى السالفة وذكر أحوال النساء والمجادلة التى هى المراء والخصومة والتشدق فى الكلام بتكلف السجع والتصنع والسب والفحش واللعن والمزاح الزائد على الشرعى والسخرية والاستهزاء وافشاء السر والكذب

واليمين والغيبة والنميمة والخوض فيما لا يعنى وأمثال هذه المحرمات . وآفة اللسان آفة مهلكة لم يكن أخطر منها وجميع القبائح متفرعة منها ولذلك مدح النبي صلى الله عليه وسلم الصمت وحث عليه وأمر به فقال الصمت حكمة وقليل فاعله وقال أيضا من صمت نجى وقال عليه الصلاة والسلام لمعاذ بن جبل وهل يكب الناس فى النار على مناخرهم إلا حصائد ألسنتهم وكان أبو بكر الصديق رضى الله عنه يخاف من فلتات اللسان فيضع فى فمه حصاة لتمنعه من الكلام وكان يقول هذا الذى أوردنى الموارد ويشير الى لسانه ومن أعظم ما روى عن ابن مسعود رضى الله عنه من آفة اللسان كان يقول الله اكبر مامن شيء أحق بالسجن من اللسان وقال عليه الصلاة والسلام مررت ليلة أسرى بى على قوم يخمشون وجوههم باظافيرهم فقلت ياجبريل من هؤلاء قال الذين يغتابون الناس ويقعون فى اعراضهم والغيبة ان تذكر الانسان بما يكره ولو فيه وتعلم انه لو سمعه لكرهه سواء كان فى بدنه أو نفسه أو فعله أو دينه أو دنياه اوقوله أو ثوبه أو داره أو دابته أو غير ذلك فمتى ذكرته بشيء من هذه الاشياء وكان ذلك الشيء فيه وتعلم أنه إذا سمعه تالم كان غيبة وان لم يكن ذلك الشيء فيه كان بهتانا وهو أمر من الغيبة ولا فرق بين ان يكون المغتاب حاضرا او غائبا والاحاديث الواردة فى النهى عما ذكرناه من آفات اللسان كثيرة ومن لم يؤثر فيه سماع القليل لم ينفعه الكثير وبالله التوفيق (وأما المزاح) فهو من الامور المذمومة لانه يميت القلب ويعقبه ظلمة لو عرف السالك ما نقص من حاله بسبب المزاح لما فعله مرة أخرى ويعرفها من كان باطنه منوراً و أما أصحاب الظلمة فلا يحسون بآفة المزاح ولذا قال صلى الله عليه وسلم لا تمار أخاك ولا تمازحه فان قلت إن النبي صلى الله عليه وسلم كان يمزح فاقول

لك صدقت ولكن كان يقول حقا وأنت لاتقدر على ذلك فالاولى لك تركه الافى بعض الاوقات وذلك عند ازدياد القبض وضيق الصدور أما التزين للخلق فانه يشغل السالك ويقطعه عن مطالبه لانه يحتاج الى تحصيل مايتزين به من اللباس والتطييب وتسوية العمامة وغير ذلك ومما يلهيه عن ذكر ربه وعن الحضور والمطلوب من السالك أن يكون مجهولا فى نظر الخلق ليس له فى قلوبهم منزلة والتزين لهم ينافى ذلك هذا حال السالك (وأما المرشد) وهو الذى أقامه الله تعالى لدعوة الخلق الى الحق فالواجب عليه ان لايفعل ما يسقطه من أعين الخلق لانه يفسد حالهم ولذا كان صلى الله عليه وسلم اذا أراد الخروج على اصحابه ينظر فى المرآة ويسوى عمامته وشعره وسألته عائشة رضى الله عنها عن ذلك فقال ان الله تعالى يحب العبدان يتزين لإخوانه اذا خرج اليهم (وأما التفاخر) فهو مذموم منهى عنه لقوله صلى الله عليه وسلم ان الله أوحى الى أن تواضعوا حتى لا يفخر أحد على أحد ولا يبغ أحد على أحد أى لا يظلم أحد أحداو التفاخر قد يكون بالمال وقد يكون بالآباء وقد يكون بالعبادة وكله مذموم قبيح على الخصوص بالنسبة الى السالك لانه طالب ان يتحقق بالعبودية ولا ينازع فى الربوبية وهذه الاشياء كلها مناقضة للعبودية (وأما الضحك فهو من الخصال المذمومة) المميته للقلب ولذلك لم يضحك عليه الصلاة والسلام إلا نادرا لكنه كان كما قال جرير ما رأيت النبى صلى الله عليه وسلم منذ أسلمت الاوقد تبسم والتبسم مقبول محمود عند الله ورسوله وعند الناس والضحك يميت القلب فلا يناسب السالكين (وأما الامل والحرص) فهما من الخصال القبيحة والاتصاف بهما من شان المبعودين عن حضرة الله تعالى قال ابن عمر رضى الله عنهما أخذ رسول

الله صلى لله عليه وسلم ببعض جسدى وقال كن فى الدنيا كأنك غريب أو عابر سبيل وعد نفسك من أهل القبور وقال أيضا مر بنا رسول الله صلى الله عليه وسلم وأنا وأمى نطين شيئا فقال ماهذا ياعبد الله قلت شىء نصلحه فقال عليه الصلاة والسلام الامر أسرع من ذلك يعنى ان الموت أقرب منه (وأما سوء الخلق) فانه من الطباع المذمومة عند الله وعند الناس وحسن الخلق محمود عند الله وعند الناس قال ﷺ والذى نفسى بيده لايدخل الجنة الا حسن الخلق وكان ﷺ يقول فى دعائه اللهم حسن خلقى وخلقى وعن معاذ بن جبل رضى الله عنه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال إن الله خص الاسلام بمكارم الاخلاق ومحاسن الاعمال ومن ذلك حسن المعاشرة مع من أنت ملتزم بمعاشرته وكرم الطبيعة ولين الجناب وبذل المعروف وإطعام الطعام وإفشاء السلام وعيادة المريض المسلم برا كان أوفاجرا وتوقير ذى الشيبة المسلم وحسن الجوار لمن جاورت مسلما كان أو كافرا والعفو عن المسىء وكظم الغيظ والاصلاح والجود والكرم والسماح والابتداء بالسلام والعفو عن الناس . واذهب الاسلام اللهو والباطل والغنى والمعازف كلها وكل ذى وتر والبخل والشح والطيرة والكذب والغيبة والنميمة والجفاء والمكر والخديعة وسوء ذات البين وقطيعة الرحم وسوء الخلق والتكبر والاختيال والحسد والحقد والمزاح والفحش والظلم والبغى والعدوان أو كما قال ثم قال انس رضى الله عنه لم يدع عليه الصلاة والسلام نصيحة جميلة الا دعانا اليها وأمرنا بها ولم يدع غشا أو عيبا إلا وحذرنا منه ونهانا عنه ويدل على هذا كله قوله تعالى إن الله يأمر بالعدل والإحسان وايتاء ذى القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغى يعظكم لعلكم تذكرون .

وأعلم أن ماذكرناه من الأوصاف المذمومة هو بعض القبائح الذى ينطوى عليها الانسان وأما ذكر جميعها فلا يمكن لكن من سلك الطريقة على ماسنبينه فى الأبواب الآتية خاص من جميع الرذائل والآفات الباطنة والظاهرة لأن السالك الصادق فى سلوكه يقطعها من أصلها فلايبقى لها أثر أصلا ويستعين بالعلاجات التى سنذكر ان شاء الله تعالى .

وأما من أراد أن يخلص عن أوصافه بغير سلوك الطريق المذكور فقد طلب المحال ولذلك ترى الابرار وإن سعوا فى الخلاص من صفة من الصفات وتيسر لهم ذلك وقعوا فى صفة أخرى وخصله أقبح من الأولى وذلك لأنهم لم يسلكوا طريق المقربين المنجى من جميع الآفات نهم على خطر وإن أخلصوا والمخلصون على خطر عظيم اذا عرفت هـــذا عرفت فائدة سلوك طريق المقربين وهذا أدنى فوائده واما الفائدة المقصودة بالذات من هـذا الطريق فهى الوصول إلى منازل القرب من حضرة الرب والتجليات الأسمائية والصفاتية والخلافة الكبرى والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الباب الثالث

فى بيان الحجب التى بين العبد وربه وبيان مايحتاج إليه السالك فى رفعها عن اللطيفة الانسانية من التوبة والانابة والتجرد عن الاسباب وغير ذلك مما لابد منه

اعلم أن الروح الاعظم وهو الروح الانسانى الذى هو من أمر ربى سر عظيم ولطيفة ربانية لايعلم كنهها الا الله تعالى وله فى العالم الكبير أسماء ومظاهر وله فى العالم الصغير أعنى عالم الأنسان أسماء ومظاهر أيضا فاسماؤه

ومظاهره فى العالم الكبير العقل الأول والقلم الاعلى واللوح والحقيقة المحمدية والروح المحمدى والنور والنفس الكلية التى قال الله فيها خلقكم من نفس واحدة واسماؤه ومظاهره فى العالم الصغير الاخفى والخفى وسر السر والسر والروح والقلب والنفس الناطقة واللطيفة الأنسانية وهو أعنى الروح الاعظم والخليفة الأكبر المتنزل الى هذه المرتبة أول موجود أبدعه الله تعالى وأوجده وهو الخليفة الاكبر والسر الأعظم وأول تنزلاته لأنه من المقام الأخفى إلى الخفى وآخرها القلب فافهم واعلم أن القلب هو بعينه الروح الاعظم والخليفة الأكبر المتنزل إلى هذه المرتبة وهو المدبر للجسم الأنسانى المتعلق به تعلق العاشق بالمعشوق وذلك بواسطة الروح الحيوانى اعنى النفس الشهوانية المذكورة فى المقدمة لأن الروح المذكورة فى غاية اللطافة والجسم فى غاية الكثافة والروح الحيوانى بين اللطافة والكثافة فلذلك صلح أن يكون واسطة بين الروح الاعظم بعد تنزله وبين الجسم ولتعانق الروح مع النفس الشهوانية سمى قلبا وكان ذا جهتين جهة لعالم الحس والشهادة وجهة لعالم القدس والغيب أو صارت النفس الشهوانية لكثافتها كالشىء الحى الكثيف الذى يطلى به وجه الزجاجة الواحدة لترى الصور فى وجهها الآخر وكذلك كان القلب أشرف الاشياء وأعظمها ومحل التجليات وخزينة أسرار الله تعالى ومحل انتقاش الحقائق الحقية والخلقية وقد وصفه الله تعالى بقوله ذلك لمن كان له قلب اذ ليس المراد من القلب فى الآية القطعة اللحم التى هى فى جوف الأنسان لأن تلك يشترك فيها كل الحيوانات بل المراد اللطيفة الربانية واعلم ان الذى قال الله تعالى فيه له قلب هو المرشد الكامل وقوله أو ألقى السمع وهو شهيد يعنى المريد المسترشد الطالب للكمال لأن هذا الأمر ليس متيسراً لكل إنسان

لأنه إذا توجه إلى عالم الشهادة بحيث ينسى عالم القدس حجب عنه ما فيه من الخواص العلوية وصار حيوانا وإن توجه إلى عالم الغيب والقدس بحيث ينسى عالم الشهادة حجب عنه أيضا ما عرض له من الخواص السفلية وصار روحانيا وإن توجه إلى أحد العالمين ولم يذهل عن الآخر كان انسانا كاملا وهذا مقام عال لا يتيسر لاحد إلا لمن سلك طريق المقربين بعد مجاهدة النفس الجهاد الاكبر ومتى كان القلب متوجها إلى الجسد بالتنعمات واللذات الدنيوية والشهوات النفسانية كان محجوبا عن الله تعالى بسبعين حجابا ويسمى القلب في هذه المرتبة بالنفس الأمارة لأنه حينئذ يتصف بالغضب المذموم وبالحقد والحسد والكبر والتعاظم والعجب والغرور وسوء الخلق وغير ذلك من الاوصاف المذمومة المذكورة في الباب الثاني وهي النجاسات المعنوية المبعدة عن حضرة ربه ولا يستغرب هذا الامر فان اتباع الشهوات يجعل العزيز ذليلا ولذا روى أن امرأة العزيز قالت لسيدنا يوسف عليه السلام يا يوسف إن الحرص والشره صير الملوك عبيدا وإن الصبر والتقوى صير العبيد ملوكا فقال لها انه من يتق ويصبر فان الله لا يضيع أجر المحسنين وذلك لأن القلب حقه أن يكون أميرا على البدن والجسد مطيعا لاوامره ونواهيه فاذا غلبت الشهوات عليه صار الامير مأمورا وانعكس الامر فيصير الملك أسيراً مسخرا في يد كلب أو عدو قاهر ولهذا كان الانسان اذا أطاع داعية الشهوة والشره يرى نفسه في النوم ساجدا بين يدى خنزير أو حمار وإذا أطاع الغضب يرى نفسه ساجدا بين يدى كلب .

واعلم ان الانسان اذا نسى نفسه في هذه المرتبة الملعونة وطال وقوفه فيها كان ذلك سببا في ابطال خاصيته وهي القدرة على التوجه الى عالم الغيب

وابطال خاصيته هو المعبر عنه بسواد القلب وبالطبع والرين لان القلب كالمرآة متى كانت صافية عن الصدأ أو الكدر يشاهد الانسان فيها الاشياء واذا غلب عليه الصدأ ولم يكن لها ما يصقلها ويدفع الصدأ عنها تمكن منها الصدأ وغاص فى جوهرها وصارت بحيث لا يقدر الانسان على ازالته وقد اشار ﷺ الى ذلك بقوله إن القلوب لتصدأ كما يصدأ الحديد قيل وما جلاؤها يارسول الله فقال ذكر الموت وتلاوة القرآن وفى رواية ذكر الله وذكر الغزالى رحمه الله تعالى فى مختصر الاحياء انه روى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال القلوب أربعة قلب أجرد فيه سراج يزهر فذلك قلب المؤمن وقلب اسود منكوس فذلك قلب الكافر وقلب أغلف مربوط على غلافه فذلك قلب المنافق وقلب مصفح فيه ايمان ونفاق فمثل الايمان فيه أى فى القلب المصفح مثل البقلة يمدها الماء الطيب ومثل النفاق فيه كمثل القرحة يمدها القيح والصديد فاى المادتين غلبت عليه حكم له بها فالمراد من القلب الاول قلب المؤمن الكامل العارف والمراد من القلب الرابع قلب السالك فى حال سلوكه فان تتبع الشهوات ومال الى المخالفات هلك وبقى فى سجين الطبيعة ومتى كان القلب متوجها الى عالم الغيب سعى على كشف الحجب المذكورة شيا فشيا فذهب عنه الكدرات الحاصلة من المعاصى وكثرة الشهوات واستعد للتجليات وانتقشت فيه حقائق الاشياء وكل مازالت عنه الشهوات قرب من مقامه الاول المتنزل منه وهذا معنى كشف الحجب وان لم يبق فيه شىء من الشهوات وصل الى مطلوبه لانه لم يبق بينه وبين الله حجاب

وروى الغزالى فى كتابه المذكور انه قيل لرسول الله ﷺ أين الله تعالى فى الارض قال فى قلوب عباده المؤمنين لانه تعالى قال لم يسعنى أرضى ولا سمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن اللين الورع بمعنى انه لا يراه الا قلوب

المؤمنين لا بمعنى انه تعالى يحل فى قلوبهم لأن ذلك محال ولكن قلب المؤمن لما صقل صار كالمرآة وكما أن المرآة يرى فيها صورة المحسوسات التى فى عالم الملك كذلك القلب صار يرى فيه مافى عالم الغيب وهذا هو العلم المفسر بحصول صورة الشىء فى الذهن لأن المراد من الذهن النفس الناطقة وهى القلب كما عرفت قال عمر رضى الله عنه رأى قلبى ربى فمن أراد الوصول الى هذه السعادات والترقى الى أعلى الدرجات فليدخل أولا من باب الأبواب وهو التوبة .

وأنما سميت التوبة بباب الابواب لأنها أول باب يدخل منه العبد حضرات القرب من جناب الرب والتوبة واجبة على الفور لقوله عز وجل وتوبوا الى الله جميعا أيها المؤمنون لعلكم تفلحون ولقوله تعالى يا أيها الذين آمنوا توبوا الى الله توبة نصوحا ولقوله تعالى أن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقد أجمعت الأمة على وجوب التوبة على الفور لأن تأخيرها اصرار محرم وقال ﷺ التائب من الذنب كمن لاذنب له والتوبة تجب ماقبلها وقال أيضا التائب حبيب الله وقال لله أشد فرحا بتوبة عبده حين يتوب اليه من أحدكم إذا كانت راحلته بارض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه وشرابه فايس من راحلته وبينما هو كذلك إذ هو بها قائمة عنده وأخذ بخطامها ثم قال من شدة الفرح اللهم أنت عبدى وأنا ربك اخطأ من شدة الفرح وقال النبى ﷺ أن الله يقبل توبة العبد مالم يغرغر والآيات والاحاديث فى حق التوبة كثيرة لاتكاد تنحصر وانما كانت التوبة واجبة على الفور لان ترك المعاصى واجب على الدوام وإطاعة الله واجبة على الدوام ولذا نقل السنوسى رحمه الله تعالى الاجماع على أن التوبة واجبة على الفور وحينئذ يلزم من تأخيرها تضعيف

الذنوب على من لم يتب وليس هذا كتضاعف الحسنات بل لأن ترك التوبة ذنب فان لم يتب صار صاحب ذنبين الاول ذنب الفعل القبيح والثانى الذنب الحاصل من ترك التوبة وهذان الذنبان تجب منهما التوبة فان لم يتب منهما على الفور فصار صاحب أربع وعلى هذا القياس تضاعف الذنوب لا كتضاعف الحسنات لقوله تعالى من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ومن جاء بالسيئة فلا يجزى الا مثلها .

فاذا نظرت بعين الإنصاف والشفقة على نفسك رأيت احتياجك الى التوبة أشد من احتياجك الى المأكل والمشرب والمسكن لان الذنوب قد حجبتك عن مطالعة الغيوب وحالت بينك وبين محبوب وأعظم الحجب التى بين العبد وربه حجب الذنوب لانها ظلمات وغيرهـــا من الحجب وإن كان لابد للسالك من السعى فى رفعها الا انها نورانية لاتحجب العبد بالكلية لان مثال الحجاب الحاصل من الذنوب كمثال الجدار الحائل بينك وبين مطلوبك فانك لاترى مع حيلولته ذاتا ولا أثرا ولا شبحا بخلاف الحجب النورانية فانها كالزجاجات يرى ماوراؤها ولكن يخفى ويظهر لكثرتها وقلتها فاذا تكاثرت الزجاجات تكاثرا عظيما يخفى المطلوب الذى وراءها لكن لايخفى كخفاء ماوراء الجدار بل لابد أن يرى شبحا هذا فيما يرى بالعين من المحسوسات وكذلك القلب متى كانت عيناه التى تسمى بالبصيرة مستورة بظلمات المعاصى المسمى بالران والطبع والختم كان لايرى شيئا من أنوار الغيوب فحينئذ لايبالى بما يفعله من الآثام والذنوب واذا تاب مما هو فيه انكشف عن عين قلبه حجب الذنوب ورأى ماعند الله فصار يخاف عقابه ويرجو ثوابه ويداوم على الطاعات ويجتنب السيئات وينحجب حينئذ بحجب

نورانية وهى اعتماده على هذه الأعمال لانه يعتقد أنه هو الذى أوجدها ثم بعد ذلك يكشف الله تعالى عنه تلك الحجب ببركة الطاعات فيرى أن المنة لله تعالى عليه حيث وفقه الى هذه الاعمال وانه مقصر فى الشكر عليها وأن المعطى والمانع هو الله تعالى وان الله اذا أراد بعبده خيراً ألبسه لباس التقوى ليصلح للعرض على حضرته وليس بيد العبد شيء من الخير والشر بل الكل بيد الله تعالى فاذا انكشف عن عين قلبه هذا الحجاب ظن أنه وصل الى الله تعالى لما فى هذا المقام من اللذة الروحانية فان حفته الالطاف الالهية كشف عنه هذا الحجاب أيضا ولم يزل يقطع الحجب شيئاً فشيئاً على ماهو مرتب فى هذا الكتاب من المقامات والأبواب الى أن يصل الى مقعد صدق ومنازل الاحباب فافهم ولا تعتقد من تشبيه الحجب بالزجاجات ان الله تعالى شيء يرى بالعين الباصرة فانه تعالى منزه عن ذلك والله يتولى هداك واذا فهمت هذه الاشارة وعرفت أن التوبة من الذنوب واجبة نقلا وعقلا وان لا وصول الى الله الا بها وعرفت أيضا معنى قوله ان لله تعالى سبعين حجابا وفى رواية سبعين ألف حجاب من نور وظلمة لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه ما انتهى اليه بصره من خلقه وفى رواية النار لان المراد من الظلمة الذنوب والخطايا والمراد من النور التفـ ـات السالك الى اللذات الاخروية والى الكرامات والتجليات والوصال وغير ذلك من المقامات والاحوال لان السالك مادام فى قلبه شيء من الاشياء فهو محجوب بذلك الشيء عن الله تعالى ولذلك يطول السلوك على السالكين فيرجع بعضهم من ربع الطريق وبعضهم من نصفه .

والسبحات جمع سبحة وهى مايسبح به وهى فى الحديث إستعارة عن أشعة أنوار ذاته تعالى وفى هذا الحديث أربعة ضمائر الاول فى وجهه والثانى

فى اليد والثالث فى بصره والرابع فى خلقه فان رجعت الاول والثالث والرابع الى الله وأرجعت الثانى الى ماالموصولة كان معنى الحديث لو كشف الله الحجب لاحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى الاشياء التى ينتهى اليها بصر الله تعالى من خلقه وإذا أرجعت الاول والثانى والرابع الى الله وأرجعت الثالث الى ما الموصولة كان المعنى لو كشف الله الحجب لاحرقت أشعة أنوار ذاته تعالى كل خلق انتهى بصره الى الله عز وجل وعلى الوجه الثانى المراد من الخلق الذى انتهى بصره الى الله هو السالك الذى قطع عقبات النفوس وأطلق من قيد الانانية وتخلص من مقتضيات البشرية وتهيأ لقبول تجليات الانوار الوجهية والمعنى لو كشف الحجاب المذكور عما بين السالك وبين الانوار الوجهية لاحرقت أشعة هذه الانوار البقية التى بقيت فى السالك ولم يقدر ان يحرقها بنار المجاهدة وذلك لان السالك يتوسل الى المقام السادس بالمجاهدة والرياضة وأما وصوله الى المقام السابع فلا يكون الا بجذبة من جذبات الحق تعالى وهذه الجذبة هى مقام حق اليقين وقد مر بيانه فى المقدمة فراجعه وحققه إن شئت وقابل بينه وبين هذا الكلام تره هو بعينه ويظهر لك غلط الموحدين بالتوحيد المغالى المدنسين بادناس الطبيعة المحجوبين بالحجب المنيعة وذلك لانهم ظنوا أن كل من عرف وحدة الوجود كان موحدا بل واصلا إلى أرقى درجات الكمال وليس كذلك لأن معرفة وحدة الوجود(١) لاتفيد صاحبها فائدة

---

(١) يظن بعض الناس الذين لا يعرفون مراد القوم من عبارة وحدة الوجود انهم يريدون منها ان الموجودات جميعها هى عين الحق تبارك وتعالى وهذا فى الحقيقة وهم باطل نشأ من عدم العلم بمصطلحات القوم واذواقهم. ويعلم الله أن القوم بريئون من هذا الاعتقاد الفاسد لأنهم انما يعنون بوحدة

معتدا بها بل قد يقع بها فى الزندقة ويهبط الى سجين الطبيعة اعنى المقام الاول الذى سمى النفس فيه بالامارة بل الذى يفيد السالك فى سلوكه شهود وحدة الوجود لامعرفتها والشهود حالة اضطرارية حاصلة عند المجاهدة والمكابدة والرياضة المتعبة والذل والافتقار والمسكنة ولاتفيد هذه الحالة

الوجود أن الكائنات أثر الفاعل وأثر الفاعل لايسبقه ولا يلحقه ولا يثنيه وأن الوجود الحق أى الوجود الذاتى لايكون الا لله وحده وكل ماسواه فانما هو قائم به وانقائم به قطعاً لاوجود له من ذاته . وهذا الاعتقاد بعينه هو مذهب أهل السنة والجماعة لأنهم يقولون أى أهل السنة أن ثم واجبا و ثم ممكنا . والواجب هو ما قام بذاته وأوجب الوجود لغيره ولم يفتقر فى وجوده الى أحد سواه . والممكن هو ماليس له من ذاته وجود ولاعدم ومن كان كذلك كانت الذاتية فيه لغيره وليست الذاتية فى شىء الا لله . فالكائنات اذا بالنظر الى ذاتها عدم محض قال تعالى كل من عليها فان . وفان اسم فاعل . واسم الفاعل حقيقة فى الحال مجاز فى الاستقبال وليست هناك قرينة تصرف اللفظ عن معناه واذا كانت الكائنات معدومة فى نفسها موجودة بغيرها كانت بمثابة الامواج البادية على صفحات الماء اذا نظرت اليها قلت امواج مختلفة المظاهر تبدو وتنتهى وان حققت النظر لم تجدها شيئا يزاحم الماء ولاهى عينه من كل وجه ذلك لان الذاتية فيها للماء لاهى فهى مظاهره وشؤونه البادية عنه والعائدة اليه وهكذا الامر ولله المثل الاعلى على أن تأخذ من المثال معناه لاصورته . ثم اعتقاد المرء أو شهوده لهذه الحقيقة لابد أن يكون معه كل الملازمة لاحكام الشرع الشريف وان كان العبد عاصيا لله فى وقت هو يشعر فيه أن الله مطلع عليه فلا شك أن ذلك منتهى الزندقة والجرأة على الله ذلك لان المعصية الصادرة فى وقت انت فيه غافل عن ربك غير المعصية البادية فى وقت مشاهدة منك وحضور . والمعرفة وحدها غير كافية فى نجاة المرء ان أهملت احكام الله وأوامره

السالك الا إذا كان معها اتباع الشريعة فان لم يكن معها اتباع الشريعة فهى الزندقة المهلكة فمن أراد سلوك طريق المقربين الموصل إلى حق اليقين فعليه بالتوبة أولا لترتفع عن قلبه الحجب الظلمانية أعنى حجب الذنوب ثم يسعى على رفع الحجب النورانية للترقى فى المقامات الآتى ذكرها فى الابواب التى بعد هذا الباب إن شاء الله تعالى فإن قيل التوبة ثمرتها الندم والندم حال فى القلب والاحوال لاتدخل تحت الاختيار فكيف تكون التوبة واجبة مع أنها ليست من الأحوال الاختيارية فنقول إن أسباب الندم تدخل تحت الاختيار وهى سماع المواعظ وتعلم العلم النافع وذكر الله تعالى والتوجه إلى الله ببعض العبادات ومعرفة ضرر الذنوب وهو كونها حجابا وأعظم أسباب الندم المداومة على الذكر بلا اله الا الله وخلافه من الاسماء لانه إذا داوم العبد عليه أوقد الله تعالى فى قلبه مصباحا ملكوتيا فتزول به ظلمة الباطن فيظهر له مافيه من النجاسات والآفات القاطعة له عن نيل السعادات فهو وان كان يعلمها من قبل لكن ذلك العلم ليس معه نور فلا يفيد شيئا وأما مع تلاوة الاسم فيحصل النور ويحصل الندم الذى هو التوبة وقد روى عن الشيخ عبد القادر قدس الله سره انه كان ياتيه الرجل فيشكو اليه ترك الصلاة أو التهاون فى أدائها فيقول له أكثر من ذكر لااله الا الله ويأتيه آخر فيشكو له الزنا مثلا أو شرب الخمر أو غيرها من القبائح فيأمره بالذكر فما جاء أحد يشتكى من ترك مأمور أو فعل منهى الا أمره بالذكر .واعلم أن التوبة هى الندم على مافات من الذنوب لقوله ﷺ الندم توبة وأما قوله والعزم على أن لايعود وتلافى الماضى فانه لازم الندم لان من ندم ندما صحيحا عزم على أن لايعود لامحالة وعلى تلافى مامضى على قدر مايمكنه وهذه التوبة هى توبة العوام

وهى مقبولة لامحاله وأما توبة الخواص فهى التوبة من جميع مايشغل القلب عن الله عز وجل وأما توبة خواص الخواص فهى التوبة من الذهول والغفلة عن الحضور مع الله فهذه توبة الصديقين الأذكياء الذين علموا قيمة أنفسهم وعرفوا أن كل نفس من أنفاسهم خير من الدنيا وما فيها .

وقد بينت التوبة بيانا أوضح من هذا البيان فى شرحى لقصيدة الشيخ أبى العباس الجزائرى وأوضحت جميع المسائل التى تتعلق بها فمن أراده فليراجعه .

الباب الرابع

فى بيان النفس الامارة وسيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وقبائحها وكيفية الخلاص منها والترقى عنها الى المقام الثانى الذى تكون النفس فيه لوامة

فسيرها الى الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الصدر وحالها الميل وواردها الشريعة وقد عرفت مما سبق أن النفوس السبعة نفس واحدة وتسمى باعتبار وصفاتها المتكثرة بالأسماء المختلفة من الامارة واللوامة والملهمة والمطمئنة والراضية والمرضية والكاملة وقد عرفت أيضا أن هذه النفس هى النفس الناطقة وهى القلب الذى قال الله تعالى فيه إن فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب إذ ليس المراد من القلب قطعة اللحم كما عرفت وانما هى اللطيفة الربانية لكنها لما تدنست بالميل إلى الطبيعة والركون الى الشهوات وصادفت النفس الشهوانية أعنى الروح الحيوانى انخرطت فى سلك الحيوانات وتبدلت أوصافها الحميدة بأوصافهم

الذميمة وصارت لاتتميز عنهم إلا بالصورة وصار الشيطان من جندها ومن أوصافها الجهل والبخل والحرص والكبر والغضب والشهوة والغفلة والشره والحسد وسوء الخلق والخوض فيما لايعنى من الكلام والاستهزاء والبغض والايذاء باليد واللسان وغير ذلك من القبائح التى مر ذكرها فهى نفس خبيثة وهى التى قال عنها سيدنا يوسف الصديق عليه الصلاة والسلام وما أبرىء نفسى إن النفس لأمارة بالسوء (١) وقال نبينا محمد ﷺ (أعدى عدويك نفسك التى بين جنبيك وقال عليه الصلاة والسلام رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر) فسمى جهاد الكفار الجهاد الأصغر وسمى جهاد النفس الجهاد الأكبر وذلك لانها واقعة فى ظلمة الطبيعة فلا فرق لها بين الحق والباطل ولاتميز بين الخير والشر ولا يقدر الشيطان اللعين على الدخول على الانسان الا بواسطتها فكن أيها الاخ منها على حذر ولا تأمن لها ولا تساعدها ولا تنتصر لها إن أحد أذاها بل كن له معيناعليها لانك اذا تحققت عداوتها لزمك جميع ماذكر ولزمك تقليل الطعام والشراب والمنام لتضعف النفس الشهوانية الحيوانية لانها اذا ضعفت هان خلاص هذه النفس الشريفة العزيزة العلوية التى سميت بالامارة من شبكتها وليكن ذكرك فى هذا المقام لا إله الا الله بحذف لفظه لا وتحقيق همزة إلاه وفتح هائه فتحة خفيفة وتسكين آخر لفظ الجلالة ولا تفصل بين الهاء وقولك إلا الله وإياك أن تتهاون فى تحقيق همزة له فإنك إن لم تحققها قلبت ياء وصار ذكرك لايلاه الا الله وهذه ليست كلمة التوحيد فلا ثواب بتكرارها ولا تأثير وغالب الذاكرين واقعون فى هذه

---

(١) هذا قول زليخة أمرأة العزيز وليس هو قول نبى الله يوسف عليه السلام .

الورطة ولا يدرون فكن على حذر وأكثر من هذا الذكر فى القيام والقعود والاضطجاع فى جميع الأوقات وذلك بالجهر لأن التأثير المطلوب من هذا الاسم لا يحصل إلا بالإكثار والاجهار آناء الليل وآناء النهار حتى تصل الى مطلوبك قال الله تعالى فى الحديث القدسى لا اله الا الله حصنى فمن دخل حصنى أمن من عذابى وقال أيضا أنا جليس من ذكرنى وأنا مع عبدى اذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه ومعنى مجالسة الله تعالى تقريب رحمته وعنايته ومدده وفيضه وفتحه ونور أسمائه وصفاته من عبده بحيث اذا صدق فى ذكره عمر قلبه بتلك الاسرار وملأه بهذه الانوار وقال النبى عليه الصلاة والسلام (لا إله إلا الله أفضل الذكر وهى أفضل الحسنات أسعد الناس بشفاعتى من قالها خالصا من قلبه مامن عبد قالها ثم مات على ذلك الا دخل الجنة وان زنى وان سرق) كررها ثلاثا وقال عليه الصلاة والسلام (جددوا ايمانكم قيل وكيف نجدد ايماننا يارسول الله قال أكثروا من قول لا اله الا الله فان قولها لا يترك ذنبا ولا يسبقها عمل ليس لها دون الله حجاب حتى تخلص اليه) وفى رواية ولا يشبهها عمل وقال الله تعالى فى الحديث القدسى (أنا عند ظن عبدى وأنا معه إذا ذكرنى فإن ذكرنى فى نفسه ذكرته فى نفسى وإن ذكرنى فى ملإ ذكرته فى ملإ خير منه) وقال عليه الصلاة والسلام (ألا أخبركم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم وخير لكم من أنفاق الذهب والفضة وخير لكم من أن تلقوا عدوكم فتضربوا أعناقكم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يارسول الله قال ذكر الله وقال أيضا مثل الذى يذكر ربه والذى لا يذكر مثل الحى والميت وقال عليه الصلاة والسلام لا يقعد قوم يذكرون الله تعالى إلا حفتهم الملائكة وغشيتهم الرحمة ونزلت عليهم السكينة وذكرهم الله فيمن عنده)

وقال عليه الصلاة والسلام (ما عمل آدمى عملا أنجى له من ذكر الله قالوا ولا الجهاد فى سبيل الله قال ولا الجهاد فى سبيل الله إلا أن يضرب بسيفه حتى ينقطع ثلاث مرات) وقال أيضا (لو أن رجلا فى حجره دراهم يقسمها وآخر يذكر الله لكان ذاكر الله أفضل وقال إذا مررتم برياض الجنة فارتعوا قالوا وما رياض الجنة يارسول الله قال حلق الذكر) وقال ﷺ (ما من قوم جلسوا مجلسا وتفرقوا منه ولم يذكروا الله فيه الا كأنما تفرقوا عن جيفة حمار وكان عليهم حسرة يوم القيامة) وقال عليه الصلاة والسلام (ليس يتحسر أهل الجنة إلا على ساعة مرت بهم ولم يذكروا الله فيها) وقال عليه الصلاة والسلام (أكثر واذكر الله حتى يقولوا مجنون وقال عليه الصلاة والسلام من صلى الصبح فى جماعة ثم قعد يذكر الله حتى تطلع الشمس ثم يصلى ركعتين كانت كأجر حجة وعمرة تامة تامة) وفى رواية أخرى (انقلب بأجر حجة وعمرة وقال أيضا لأن أقعد مع قوم يذكرون الله تعالى من صلاة الغداة حتى تطلع الشمس أحب إلى من أن أعتق أربعا من ولد إسماعيل وقال أيضا لأن اذكر الله تعالى مع قوم بعد صلاة الفجر الى طلوع الشمس أحب الى من الدنيا وما فيها ولأن أذكر الله مع قوم بعد صلاة العصر إلى أن تغرب الشمس خير لى من الدنيا وما فيها قال عليه الصلاة والسلام إن الله تعالى أمر يحى أن يأمر بنى إسرائيل بخمس كلمات منها ذكر الله فان مثل ذلك كمثل رجل خرج العدو فى أثره سراعا حتى إذا أتى حصينا فاحرز نفسه منهم كذلك العبد لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى صدق رسول الله ﷺ فادخل ياطالب الخلاص من الاعداء حصن مولاك وهو قول لا إله إلا الله وخلص نفسك الشريفة من سجن الطبيعة لتنال المقامات الرفيعة .

وقال أبو الحسن الشاذلى قدس الله سره لا يزال المريد يذكر لا له الا

الله بلسانه حتى ينتقل معناها الى جنانه يعنى لايزال المريد يقول لا إله إلا الله من غير أن يلتذ بمعناها وهو توحيد الافعال حتى ينكشف عن قلبه الحجب الظلمانية الحاصلة من الذنوب الماضية فيشاهد بعين البصيرة أن لامحرك ولا مسكن ولا معطى ولامانع ولا ضار ولا نافع الاالله شهود ذوق وحال لاشهود اعتقاد والشهود الذوقى لايعرفه الا من ذاقه ومن علاماته أنك ترى نفسك لاتكره مخلوقا أصلا ولايحصل منك إيذاء لمسلم ولا لكافر ولا لحيوان ولا لعدوك ومن آثاره الاتصاف بالذلة والمسكنة والسرور الدائم بالقلب والبشاشة فى الوجه وغير ذلك من المحاسن الشرعية فداوم أيها السالك مادامت فيك أوصاف النفس الامارة هذا الذكر لتظهر على أول السعادات وهى توحيد الافعال واذا نفيت بقولك لا اله فاضمر فى قلبك كل معبود غير الله تعالى وليكن قول الله بقوة وشدة كأنك تضرب به الجانب الايسر من صدرك بحضور وخشوع ومذلة وغمض عينيك وألق سمعك الى ذكرك ولازم الطهارة من الحدث والخبث وإياك وأكل الحرام لان جميع القبائح منشؤها وصدورها من البطن المملوء من الحلال فكيف حال من ملأ بطنه من الحرام ولا بد لك من معرفة ماتحتاج اليه من الفقه مثل طهارة الماء ومعرفة الوضوء ومعرفة ازالة النجاسة وأركان الصلاة وغير ذلك مما لابد منه وكذلك معرفة شىء من العقائد كمعرفة الواجب وصفاته القديمة وما يجب له تعالى وما يمتنع وما يجوز كما ذكره العارفون وأجمعوا على أن العبادة من غير معرفة لايزاد صاحبها الا بعدا ولا تشتغل بغير ماذكر من العلوم الا بعد تزكية النفس وتصفية القلب لانك قبل ذلك كثير الاحتياج إلى خلاص نفسك من سجن الطبيعة ولصقل مرآة قلبك ليزول

عنها الرين المانع لها من ادراك حقائق الأشياء وعن فهم دقائق العلوم لأن مرآتك وأنت فى هذا المقام قد علاها صدأ الكبر والطمع والحسد والعجب والبغض والغضب والشره والشهوة والحقد وغير ذلك مما تعرفه من نفسك فالواجب الاهم فى هذا المقام الخلاص من هذه الخباثات التى منعت القلوب من مطالعة الغيوب بالذكر القوى وتقليل الطعام والمنام لتضييق مسالك الشيطان ويقرب القلب من الاوطان بشهود شمس العيـــان وظهور حقيقة الايمان لأن هذا المقام أعنى الأول الذى تسمى النفس فيه بالامارة هو المشار اليه بسجين وأسفل السافلين والخلاص منه أهم من غيره وانما أمر المشايخ بالذكر الجهر لتيقظ الأعضاء من الغفلة التى هى فيها فعليك بالذكر الكثير القوى والوقوف على أبواب الشريعة ومحاسبة النفس كل ساعة وتخويفها بالموت وعذاب القبر وما بعده من الأهوال وجهنم وعذابها وحياتها وعقاربها لأن فى هذا المقام تترادف عليك حالتان خوف ورجاء ثم بعد تقلك من هذا المقام يتبدل خوفك بالقبض ورجاؤك بالبسط ثم يتبدل القبض بالخشيـــة والبسط بالانس فاذا وصلت الى درجات الكمال يتبدل القبض بالجلال والبسط بالجمال ففى هذا المقام أعنى الأول الذى تسمى النفس فيه بالامارة يجب عليك تذكر أسباب الخوف لأنه أنفع لك من الرجاء الا اذا وصلك الخـــوف الى درجة القنوط فيجب عليك حينئذ تذكر أسباب الرجاء وسعة رحمة الله تعالى وعفوه وكرمه عليك (١).

---

(١) المراد أن لا يحملك الخوف على القنوط من رحمته . ولا يحملك الرجاء على الخروج عن طاعته . فان اليأس من روح الله كفران . والخروج عن طاعة الله حرمان ولا تتم لك السلامة والسعادة حتى تبغى بين ذلك قواما

بالتذلل والخضوع والتضرع له تعالى واطلب الخلاص منه بلطفه وإحسانه وابتهل اليه عز وجل ولا تمل من الدعاء ولاتقل أن الله تعالى ماتقبل منى لأن هذا مما يقطع المريد عن الحق قال النبى ﷺ (الدعاء والعبادة ثم تلا وقال ربكم ادعونى أستجب لكم وقال ان الذين يستكبرون عن عبادتى سيدخلون جنهم داخرين) وقال النبي ﷺ (الدعاء مخ العبادة) وقال النبى ﷺ (من فتح له فى الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابة) وقال النبى ﷺ لايرد القضاء الا الدعاء) وقال رسول الله ﷺ (الدعاء بر القضاء وإن البر يزيد فى الرزق وان العبد ليحرم الرزق بالذنب الذى يصيبه) وقال النبى ﷺ (الدعاء جند من أجناد الله مجند يرد القضاء بعد أن يبرم وقال أيضا الدعاء يرد البلاء) وقال عليه الصلاة السلام (لايغنى حذر من قدر والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وأن البلاء لينزل فيتلقاه الدعاء فيتعالجان إلى يوم القيامة) وقال ﷺ (ليس شيء أكرم على الله من الدعاء وقال من لم يسأل الله يغضب عليه وقال من لم يدعو الله غضب عليه) وقال عليه الصلاة والسلام (لاتعجزوا فى الدعاء وأنه لن يهلك مع الدعاء أحد) وقال عليه الصلاة والسلام (من سره أن يستجيب الله له عند الشدائد والكرب فليكثر الدعاء فى الرخاء وقال عليه الصلاة والسلام (الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ونور السموات والارض) وقال عليه الصلاة والسلام (مامن مؤمن مسلم ينصب وجهه لله فى مسألة إلا أعطاه إياها إما يعجلها له وإما أن يدخرها) فانظر ما أكرم الانسان كيف جعل دعاءه وتوجهه يؤثر فى القضاء المبرم ويرد البلاء وينفع مما نزل ومما لم ينزل من المصائب والبلايا وكيف كان دعاؤه كريما على الله حتى أنه اذا لم يدعه يغضب عليه كيف جعل دعاءه مخ العبادة كل ذلك محض

تفضل ولطف وا كرام منه لهذا النوع الانسانى فهل يليق بك أن تعرض عمن أكرمك هذا الا كرام وتقبل على أعدائه وهم الشيطان والدنيا بشهواتها وهل ترضى أن تمقت كما مقتوا أو تبعد كما بعدوا بعد أن عرفت أن استعدادك خير الأستعدادات وأنت قابل للخلافة الكبرى والسلطنة العظمى وقد كان أبوك آدم عليه السلام قبلة الملائكة ومعلمهم الأسماء وخليفة الله فى أرضه فهل يساوى هذا الذى أقبلت عليه عشر معشار ما أدبرت عنه فانتبه يا حبيبى من غفلتك التى أهلكتك وأنزلت مقدارك وحقرتك وأقبل على من لاغنى لك عنه بما ملات الاحسان قبل أن تساق اليه بسلاسل الامتحان وقد قال لك عبدى إذا تقربت منى شبرا تقربت منك ذراعا وإن تقربت منى ذراعا تقربت منك باعا وإن أتيتنى تمشى أتيتك هرولة) فاترك التوانى وأعرض عما يشغلك عن مولاك واستغن بالقناعة بما فى يدك كثيرا كان أو قليلا ودع اللذات الفانية لأهلها واشتغل بما ينجيك ولا تسوف التوبة والاقبال على الله تعالى فانك لاتدرى مابقى من عمرك قال النبى ﷺ (دع مايريبك الى مالايريبك) فانك لن تجد فقد شىء تركته لله وقال عليه الصلاة والسلام (دعوا الدنيا لأهلها من أخذ من الدنيا فوق مايكفيه أخذ حتفه وهو لايشعر) يعنى من سعى وانهمك فى طلب الدنيا فوق مايكفيه سعى فى هلاك نفسه والحال أنه لايشعر بالهلاك ويجب عليك أيها الأخ وأنت فى هذا المقام الضيق القبيح أن يكون دعاؤك وتوجهك الى الخلاص من ضيق النفس الى فضاء الروح وأن يكون همك ومطلبك التخلى عن الأوصاف الذميمة التى ذكرناها والتحلى باضدادها وهى الصفات الحميدة وتبديل أخلاقك القبيحة بالاخلاق الحميدة فتبدل مافيك من الكذب بالصدق وما فيك من الكبر بالتواضع والبغض بالمحبة والرياء بالاخلاص والشهرة

بالخمول فاذا كان لك صيت بين الناس فالبس ثياب الخمول حتى لايبقى أحد يذكرك بمدح ولاذم قال على رضى الله عنه تبذل ولا تشتهر ولا ترفع شخصك لتذكروا كتم واصمت تسلم وتسر الابرار وتغيظ الفجار وأعلم أنك إذا أشتغلت فى خلاص نفسك من هذه الآفات وبدلت أوصافها الذميمة باحسن صفات حميده شاهدت بعض العجائب المكنونة والاسرار المخزونة فى صدفة البشرية (١) وتفهم معنى قول المحقق رضى الله عنه .

دواؤك فيك وما تبصر ودائك منك وماتشعر

وتزعم انك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر

الباب الخامس

فى بيان النفس اللوامة وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وبيان العلاج فى الخلاص منها والترقى عنها الى المقام الثالث

أعنى المقام الذى تكون النفس فيه مايهمة فسيرها إلى الله وعالمها عالم البرزخ ومحلها القلب وحالها المحبة وواردها الطريقة وصفاتها اللوم والكبر والعجب والاعتراض على الخلق والرياء الخفى وحب الشهرة والرياسة قد يبقى معها بعض أوصاف النفس الأمارة لكنها مع هذه الاوصاف ترى الحق حقا وترى الباطل باطلا وتعلم أن هذه الصفات مذمومة ولاتقدر على الخلاص منها ولها رغبة فى المجاهدة وموافقة الشرع ولها أعمال صالحة من قيام وصيام وصدقة وغير ذلك من أفعال البر لكن يدخل عليها العجب والرياء الخفى فيجب على صاحب هذه النفس أن يطالع الناس على ما هو عليه من الأعمال الصالحة مع أنه يخفيها

---

(١) الانسان خزانة الله أودعه حقائق كل شىء بالقوة وعنه يبرز كل شىء بالفعل فهو الجامع بحقيقته لجميع مافصل فى الاكوان .

عنهم ولا يظهرهم عليها ولا يعمل لهم بل عمله لله تعالى الا أنه يحب أن يحمد ويثنى عليه من جهة أعماله ويكره هذه الخصلة ولا يمكنه قلعها من قلبه بالكلية لأنه لو قلعها بالكلية لكان مخلصا بلا خطر والحال أن المخلصين على خطر عظيم قال النبي ﷺ (الناس هلكى الا العالمون والعالمون هلكى الا العاملون والعاملون هلكى الا المخلصون) والمخلصون على خطر عظيم وذلك لأن المخلص يجب أن يكون معروفا الاخلاص وهذا هو الرياء الخفى لأن الرياء الجلى هو العمل لأجل الناس وهو الشرك الخفى المذموم بالكلية وأعلم أنك إذا كنت متصفا بهذه الصفات أنت فى المقام الثانى ويقال لنفسك لوامة وهو مقام لا يسلم صاحبه من الخطر ولو أخلص فى أعماله كما مر بيانه وهو مقام ثان بالنسبة إلى سلوك المقربين الطالبين الفناء عن نفوسهم والبقاء بربهم الذين أمروا بالموت قبل انقضاء آجالهم وقال لهم سيدهم موتوا قبل أن تموتوا فسعوا على موت نفوسهم وأما بالنسبة إلى الأبرار أهل اليمين فهو آخر منازلهم وأعلى مقاماتهم ولذلك قيل حسنات الأبرار سيئات المقربين لأن المقربين لا يقفون عند هذا المقام الثانى بل يترقون عنه إلى غيره إلى أن يصلوا إلى المقام السابع فيكون لهم بعد هذا المقام خمس مقامات يأتى بيانها وتفصيل أحوالها فيما يرد عليك فى الأبواب التى بعد هذا الباب وانما لم يقف المقربون فى هذا المقام لما فيه من الخطر العظيم والتعب المقيم لأنه أعلى درجات الاخلاص والمخلصون على خطر ولا يمكن الخلاص من هذا الخطر الا بالفناء عن شهود الاخلاص بشهود أن المحرك والمسكن هو الله شهود ذوق وهذا الشهود متوقف على سلوك طريق المقربين ولا يشم الأبرار له رائحة لأن المربين

تيقنوا بالدليل والكشف أن الله تعالى شرع العبادات وجعلها أبوابا يدخل منها من يشاء إلى حضرته فدخلوا منها عليه متمثلين بين يديه ناظرين ببصائرهم اليه غير ناظرين اليها ولا معتمدين عليها ولا معجبين بها شاهدين بان المنة لله عليهم حيث فتح لهم أبواب العبادات ومكنهم من الدخول وأهلهم للقبول فمن كانت هذه أحواله لايحتاج إلى الاخلاص بل لايخطر بباله لأنه لا يرى لنفسه عملا حتى يخلص فيه ولايرى لغيرالله فعلا حتى يتضرر به بخلاف السادة الأبرار فانهم لم يصلوا إلى هذه الشهود فنظروا أنهم قد أوجدوا أعمالهم فطولبوا بالاخلاص ولم يشهدوا أن الله تعالى خالق الأفعال كلها فتضرروا من بعضها ووقعوا فى العناء والتعب وصار أحدهم لو دخل جحر ضب لقيض الله له من يؤذيه وذلك لما فيهم من البشرية المقتضية للعجب والتكبر والحقد والحسد وسوء الخلق والعداوة والبغضاء والانهماك فى طلب الرزق وما أشبه ذلك وهذه الأشياء كلها مقتضيات للتعب والغم وضيق الصدر ولا بد من مثال يوضح لك الفرق بين الأبرار والمقربين وبين لك تعب هؤلاء وراحة هؤلاء وذلك كشجرة خبيثة عظيمة الجثة كثيرة الأغصان كل غصن منها يثمر نوعا من السم القاتل فجاء أناس واشتغلوا فى قطع تلك الأغصان ولم يتعرضوا لقطع الشجرة من أصلها ولا لقطع الماء عنها لتيبس ويتخلصوا منها ولم يمكنهم الخلاص من السموم بالكلية لأنهم كلما قطعوا شيئا نبت غيره لبقاء أصل الشجرة وجاء أناس آخرون فقطعوا الماء عن الشجرة فضعفت أغصانها فلم تثمر شيئا من السموم فتخلصوا منها وأراحوا أنفسهم عن الاشتغال بقطع الأغصان الكثيرة التى لم يمكن الخلاص منها بالكلية لانها كلما قطعت نبت غيرها فالشجرة مثال لبطن الانسان والاغصان مثال للصفات الذميمة مثل الكبر

والحسد والعجب وأمثال ذلك مما ذكر آنفا والثمرة مثال لما يحصل من هذه الصفات فى الخارج من الآثار فالأبرار لما علموا بالدليل أن هذه الصفات مهلكة للانسان فى الدنيا وفى الآخرة سعوا فى إزالتها شيئا فشيئا فلم يقدروا على الخلاص منها بالكلية بل إذا خلصوا من صفة فى يوم اتصفوا بها فى يوم آخر ولم يزالوا كذلك حتى يموتوا لانهم يملؤن بطونهم فتقوى بشريتهم ويكثر دمهم ويتمكن الشيطان منهم ولذا قال عليه الصلاة والسلام (ما ملأ ابن آدم وعاء شرا من بطن) وقال النبى عليه الصلاة والسلام (ان الشيطان ليجرى من أحدكم مجرى الدم فضيقوا مجاريه بالجوع) ولا شك أن من تمكن منه الشيطان وجرى مجرى الدم فى العروق يتلبس بالصفات الذميمة ولا يقدر على ازالة شىء منها بالكلية وان زال فى بعض الاوقات بسبب خوف لحقه من سماع شىء من أحوال القبر والملكين والزبانية والمحشر فاذا ذهب عنه الخوف رجعت الصفة التى كانت زائلة وأما المقربون فانهم لما علموا بالدليل والتجربة أن البطن هو منبع الفساد والصفات الذميمة سعوا على الخلاص من شره بتقليل الطعام وتخلصوا من جميع الصفات الذميمة فتخلقوا بالأوصاف الحميدة وذلك لأنهم لما قل أكلهم قل شربهم فقل نومهم فقل كلامهم لأن الجوعان السهران لا يشتهى الكلام فاعتزلوا عن الناس فلم يبق فى قلوبهم شىء من الصفات الذميمة كالعجب والكبر والحسد لأنهم محوها من أصلها حتى أنهم لم يخطر ببالهم شىء منها فبذلك تراهم خالين من الهم والغم لانفارقهم راحة القلب وجميع الخلق يحبونهم فلا يتأذون من أحد لانهم لم يصدر منهم إلا أفعال الخير ومع هذا لا يخلون من الحاسدين لكن لا يضرهم حسدهم فكلما هم الحاسدون أن يؤذونهم نجاهم الله من كيدهم وألقى كيدهم فى نحرهم حتى

أنهم لايدرون أن الحاسدين قد سعوا فى ايذائهم فالله تعالى كفاهم هموم الدنيا والآخرة فان قلت هذا الكلام ينافى قوله (لو دخل المؤمن فى جحر ضب لقيض الله له فيه من يؤذيه) وقوله صلى الله عليه وسلم (الدنيا سجن المؤمن) وأمثال هذا الحديث فالجواب أن هذا مثال مقول فى حق الأبرار وقد عرفت حالهم وهم أناس مقبولون عند الله تعالى وهم المتقون إلا أنهم لم يتخلصوا من جميع أكدار النفوس فلا يخلون من تعب فى الدنيا وقد وعدهم الله تعالى أنه يعطيهم الثواب الجزيل فى الآخرة (وأما المقربون) فهم أفراد قليلون استغرقوا فى شهود الحق فنسوا الخلق ولم يخطر ببالهم لذات الدنيا ولا نعيم الآخرة فمن أين الأذى والسجن والأسر فان أردت أيها الأخ الانتظام فى سلكهم والخلاص من جميع الآلام والراحة على الدوام فاسلك مسلكهم واقف أثرهم بالترقى من مقام إلى مقام حتى تصل إلى المقام السابع ففيه ترى العجائب والغرائب بل فى كل مقام تشاهد ما يسرك ويرغبك فى السلوك والترقى يكون بالمجاهدة والاشتغال بالاسم ففى كل مقام تشتغل باسم مخصوص بذلك المقام وكلما أكثرت من الاشتغال بالاسم قرب عليك وكلما توانيت وأهملت بعد عليك الطريق فلا تلومن إلا نفسك ولابد من المجاهدة وحقيقتها ترك العادات والعلائق لاتكاد تنحصر بالعد لكن جعل المشايخ للطريق أركانا وهى ترك بعض العادات فلابد منها وهى ستة تقليل الطعام وتقليل المنام وتقليل الكلام والاعتزال عن الانام والذكر المدام والفكر التمام فهذه ستة البعض منها يعينك على البعض الآخر وبقى عادات أخر لازم تركها أيضا مثل تغيير الجلاس وتبديل الأنفاس وترك الجلاش وما أشبه ذلك لكن هذه الستة المذكورة أهم من غيرها لأن السالك إذا

فعلها بصدق فهى تنقله إلى ترك جميع العادات والمطلوب من هذه الأشياء الاعتدال والحالة الوسطى التى بين الافراط والتفريط ولذلك قالوا تقليل الطعام ولم يقولوا ترك الطعام فالنافع فى هذا الطريق أن لا يأكل حتى يجوع وإذا أكل لم يشبع فعلى هذ ينبغى أن يترك عادة الغداء والعشاء فإن كان فى محل العشاء شبعانا فلا يتعشى وكذلك الغداء وقد كان النبى صلى الله عليه وسلم إذا تغدى لم يتعش وإذا تعشى لم يتغد والمطلوب ترك ألوان الطعام أيضا وأن لاتجمع بين إدامين وقد تعسر الحالة المذكورة أعنى الحالة الوسطى على المبتدأ فلا تطاوعه نفسه أن يفعل ماذكرناه فيجب عليه حينئذ ظلمها والتعدى عليها حتى ترضى بالذى ذكرناه وذلك بأن يقلل الأكل بالكلية ويحملها مالا تطيقه من الأعمال وإن كان هذا خارج عن الأنصاف إلا أنه يفعل بها ذلك لأجل إصلاحها ورجوعها للحق وللأكل الشرعى .

قال سيدى عمر بن الفارض قدس الله سره مشيرا إلى هذا المقام

ونفسى كانت لوامة متى ✲ أطعها عصت أو أعصى كانت مطيعتى
فاوردتها ماالموت أيسر بعضه ✲ وأتعبتها كى ما تكون مريحتى
فعادت ومهما حملتها تحملت ✲ منى وإن خففت عنها تاذتى

واشتغل فى هذا المقام بالاسم وهو الله الله وأكثر منه بسكون آخره أعنى الهاء وكذا تفعل فى جميع الاسماء تسكن آخرها هكذا قال المحققون وأكثر منه فإنه لا ينفع ولا يظهر العجائب إلا الإكثار وذلك آناء الليل وآناء النهار فى القيام والقعود والاضطجاع واجعل لك أوقاتا تجلس فيها متوجها إلى القبلة إن أمكنك وغمض عينيك واذكر هذا الاسم الأعظم بقوة وشدة

ورفع صوت وارفع رأسك إلى فوق واضرب به على صدرك ولا تلتفت يمينا ولا شمالا بخلاف الاسم الأول فإنك تلتفت به من اليمين إلى اليسار وحقق همزة الله وسكن الهاء ومد الألف التى قبل الهاء وإياك أن تفضى بك العجلة إلى أن تقول هلا هلا ولا يكون ذلك إلا إذا لم تحقق الهمزة فإن حققتها لا يصير شيء من ذلك إذا ذكرت بالجهر والقوة الشديدة فتقل الخواطر وهذا الاسم نار تحرق جميع الخواطر والوسواس فلا تبالى بالخواطر ان كنت مشغولا بذكرك لأنه لا يمكنك الخلاص منها بالسرعة لأن قلبك مرآة صور الخلق وأفعالهم ومحاسنهم وقبائحهم وحركاتهم وسكناتهم وكلامهم وأنت تكره ذلك وتدفعه ولا يندفع إلا إذا أعرضت عن جميع الخلق فلا ترى لهم صورة ولا تسمع لهم كلاما وعن جميع اللذات فلا تشم منها طعما ولا تلمس منها شيئا فلا يبقى فى خيالك شيء وإذا لم تعرض عما ذكرت لك فأنت متلبس بهذه الخواطر والوسواس ومعذب بها ومحجوب بالخلق عن الحق فإن كنت متعطشا إلى زلال الوصال فاترك الخلق وجميع اللذات وهذا هو المجاهدة التى تنتج المشاهدة وأعلم أن هذا الطريق طريق جد واجتهاد فمن جد واجتهد نال كل ما يتمناه ونال فوق ما يتمناه ومن توانى وأهمل فهو مقطوع عن هذا الطريق لأن القواطع كثيرة وأعظم القواطع الركون إلى الخلق والميل اليهم والجلوس معهم ومن لم يقطع القواطع لم يصل إلى المطلوب لأن القصد مخالفة ماهم عليه فكيف يأمل وصلا من خالطهم ووافقهم على ماهم عليه من كلام ومزاح وضحك وغير ذلك مما تشتمل عليه مجالسهم فإن أردت المقامات العلية فاترك الخلق بالكلية وانس جميع أصحابك وأهلك واشتغل بربك

واستوحش من جميع الناس حتى يقال أنك مجنون فتستأنس حينئذ بالله تعالى وترى العجائب إن شاء الله تعالى وإن لم تفعل ما سمعت مضت أوقاتك فى العناء والتعب ولم تنل من مطلوبك شيئا فجد واجتهد واستخرج ما بقى فيك من آثار النفس الأمارة من الكبر والحسد والعداوة والعجب والرياء وسوء الظن فى عباد الله والاعتراض عليهم بالباطن والظاهر ولا تخلص من هذه الأشياء بالكلية إلا إذا تجنبت الخلق وأعرضت بظاهرك وباطنك عنهم حتى أنه لا يلزمك فى هذا المقام الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر لأن الأمر بالمعروف ينبغى أن يكون باطف للأمور وتواضع وأنت فى هذا المقام لاتقدر على ذلك ولذا قال النبى صلى عليه وسلم (من أمر بمعروف فليكن أمره بمعروف) لأن الأهم فى حقك خلاص نفسك من الهلاك الأبدى وتنقية قلبك من الآفات المانعة له عن مشاهدة الحق لأن القلب محل نظر الحق فتصفيته فرض عين ليشاهده ويخاطبه بغير حاسة واجعل دعاك قبل تصفية قلبك يامصرف القلوب صرف قلبى إلى طاعتك وبعد تصفيته يامقلب القلوب ثبت قلبى على دينك وذلك عند طلوع الشمس وعند الغروب ومعنى تقليب الله تعالى القلوب هو تقليبه إياهم من الغفلة إلى التذكرة وبالعكس ومن الضحك إلى البكاء وبالعكس ومن الخوف إلى الأمن ومن القبض إلى البسط وأمثال ذلك والمراد من هذا الدعاء صدق الاستقامة على هذا الطريق وفى هذا المقام أعنى المقام الثانى يظهر لك سر قوله صلى الله عليه وسلم (قلوب العباد بين أصبعين من أصابع الرحمن) ظهورا ذوقيا ينسيك ألم المجاهدة ويرغبك فى السلوك ويكرهك فى كل ما سوى الله تعالى وذلك إذا فعلت

ماسمعته وأن لم تفعل فما ترى الا التعب والعناء فان ظهر لك شيء من هذا السر بغير مجاهدة فهوا دعاء من النفس بما ليس فيها من الكمال لان من شأنها أنها متى سمعت بكلام ادعته قال العارف بالله تعالى .

فجاهد تشاهد فيك منك وراءما * وصفت سكونا عن وجود سكينتي

فالمشاهدة لا تحصل الا بالمجاهدة فجاهد نفسك واستخرج ما فيك من الكنوز ولا ترض بالسفساف ولقلقة اللسان لأن من أدعى بما ليس فيه كذبته شواهد الامتحان لأنك كل ما حصلته من هذا الطريق من الاسرار عائد عليك وكل ما حصل عليك من الغرور والتلبيس والتزوير فوخامته عليك فاعدق فى الطلب والمجاهدة تنكشف لك عجائب القلب وأسراره وتدخل فى عالم المثال وهو عالم غير هذا العالم الذى أنت فيه ولا يعرفه الا من كان فى مقام القلب وهو نهاية المقام الثانى من المقامات السبعة المذكورة فى هذا الكتاب وهو أول مقامات المقربين وفيه يرى السالك الأمور التى لا تدرك بالحواس الخمس لأن القلب أى قلب المؤمن عرش الله وبيت الله بمعنى أنه محل بأن توضع فيه أسراره تعالى وتقدس فكن تابعا للشريعة وهى أقوال النبى ﷺ (متخلقا بالطريقة وهى أفعاله عليه الصلاة السلام من الجوع الكثير والنوم القليل والصمت) لأنه كان ﷺ (كثير الصمت وإذا تكلم فلا يتكلم الا بخير) وروى أحمد بن حنبل فى مسنده عن جابر بن سمرة أنه كان ﷺ (طويل الصمت قليل الضحك) وروى أيضا عن أبى الدرداء أنه كان ﷺ (لا يحدث حديثا الا تبسم) فاتبع أخلاقه وأحواله وأعمل بها فان فعلت تفجرت ينابيع الحكمة من قلبك على لسانك وكنت سالكا طريق المقربين وبهذا تزيد على الابرار ومن هنا تفارقهم مسافرا الى حضرة الجبار وأول

منازلك فى سفرك هذا عالم المثال وفيه تجتمع بالاشباح التى هى صور بين كثافة الاجسام ولطافة الأرواح وترى ما يسرك وما يقوى همتك على السلوك ويزيد شوقك وتشتعل نار المحبة فى قلبك وتنقطع عنك جميع الشهوات النفسانية والاهواء الشيطانية وإن بقى عليك شهوات روحانية فلا تضرك فى هذا المقام لأن المطلوب منك حينئذ قطع الشهوات النفسانية التى هى ظلمات بالنسبة إلى ما بعدها وأعـــلم أن الدخول فى عالم المثال لا يكون الا للسالكين وهو حالة متوسطة بين النوم واليقظة وإذا لم يكن كذلك فهو منام لا يعتد به ولا يعتنى به ولما كانت هذه الحالة بين النوم واليقظة وكان السالك فى البداية يغلب عليه جانب النوم على اليقظة ثم يترقى حتى يصير جانب اليقظة أغلب فيرى حينئذ بعض الروحانيين فيظن أنه رآهم يقظة والحق أنه رآهم فى هذه الحالة الا أن همته لما كانت عالية كانت هذه الحالة أقرب الى اليقظة من النوم فظن أنه مستيقظ وفى هـذه الحالة دخل جبريل عليه السلام على الصحابة رضوان الله عليهم بصورة الاعرابى وفيها ترى روحانية النبى ﷺ فتسمى تلك الحالة مشافهة فيقال أن فلانا رأى النبى ﷺ مشافهة ولا بد من ذهول يعترى السالك حتى يكشف له عن ذلك قال بعض العارفين ولقـــد اجتمعت مع رجل من السالكين الصادقين فحلف لى أنه رأى النبى ﷺ بعين رأسه ولم يكن نائما أصلا فقلت له كيف رأيته فقال لى كنت فى المكان الفلانى وكان معى أخى فلان وأخى فلان فاقبل علينا المصطفى ﷺ وكلمنى وكلمته بلسانى ورأيته بعينى فقلت له فهل رأى المصطفى أخوك فلان وفلان فقال لا فقلت له لو كانت الرؤيا بعين رأسك لرآه كل من كان فى مجلسك فقال جزاك الله عنى كل خير

كنت تائها فدللتنى على الطريق فاوضح لى هـــذه المسئلة حتى يزول عنى ما اعتقده فبينت له الأمر كما تقرر آنفا فلم يبق عنده شبهة فى أن اليقظة الصرفة لا يرى فيها الا ماهو فى عالم الملك وأما ماهو فى عالم الملكوت الذى عالم المثال شعبة منه فلا يرى الا بعين البصيرة وان كانت العينان مفتوحتان وفى هذا العالم تكون الفهوانية وهى رؤية الحق تعالى فى عالم المثال وقد يلبس الشيطان على السالك هذا الأمر فيظن أنه رأى الحق والحال أنه رأى شيطانه ولكن إن أعقبت هذه الرؤية علوما ومعارفا واتباعا للشريعة وتخلقا بالطريقة فهى اكرام من الله لعبده وهى الفهوانية الصحيحية وان أعقبت زندقة وشيطنة واتباع هوى فهو شيطان جاء ليقطع السالك عن الطريق قال النبى ﷺ (رأيت ربى تبارك وتعالى فى أحسن صورة فقال لى فيما يختصم الملأ الأعلى يا محمد قلت أنت أعلم أى ربى مرتين قال فوضع كفه بين كتفى فوجدت بردها بين ثدى فعلمت ما فى السموات والأرض ثم تلا عليه الصلاة والسلام هذه (الآية وكذلك نرى ابراهيم ملكوت السموات والأرض وليكون من الموقنين) ثم قال فيما يختصم الملأ الاعلى يا محمد قلت فى الكفارات قال وما هن قلت المشى على الأقدام إلى الجماعات والجلوس فى المساجد خلف الصلوات وابلاغ الوضوء أما كنه فى المكاره من يفعل ذلك يعيش بخير ويموت بخير ويكون من خطيئته كيوم ولدته أمه ومن الدرجات اطعام الطعام وبذل السلام وأن يقوم بالليل والناس نيام قال قل اللهم إنى أسالك الطيبات وترك المنكرات وفعل الخيرات وحب المساكين وأن تغفر لى وترحمنى وتتوب على وإذا أردت فتنة فى قوم فتوفنى غير مفتون) فهـــذه هى الفهوانية الصحيحية

لانها أعقبت هذه العلوم وأما غيرها فهو أمور شيطانية لأن المطلوب من هذه الطريقة العلوم والمعارف الالهية التى هى نتائج تزكية النفس وتصفية القلب فلكل واحد من تصفية القلب وتزكية النفس علامة فعلامة تصفية القلب حصول الالهامات والعلوم الربانية الموافقة للكتاب والسنة وعلامة تزكية النفس خلاصها من الغضب والتكبر والحسد والعجب والكراهة لبعض الخلق والميل للبعض الآخر ومن الشهوة فيكون الخلق كلهم عنده على السوية لايحبهم محبة تميله اليهم فينقطع عن الله تعالى ولا يكرههم كراهة تغير باطنه عليهم فتشغله عن الله تعالى وأكبر الهمات التى يفتقر اليها السالك فى هذا المقام قطع الشهوة وهى شهوة الاكل وشهوة الملبس فمتى رأى فى نفسه شهوة لبعض المآكل دون البعض أو لبعض الملبس دون البعض فيجب عليه المجاهدة وقلة الأكل حتى يتساوى عنده جميع المآكل وجميع الملابس فحينئذ يقال لنفسه أنها قد تزكت وخلص من شرها وهذا أول درجات الكمال لأن للكمال درجات أخر لا ينالها الطالب الا إذا قطع شهوات المأكل والملبس ووصل الى أول درجات الكمال ومال قلبه الى عالم القدس وأعرضت نفسه عن جميع اللذات ومتى كان الرجل مائلا للشهوات ولم يتداركها بالرياضات فهو ليس من سالكى طريق الحق أعنى طريق المقربين وإذا ادعاه فهو شيطان ضال مضل ينبغى على السالكين اجتنابه لأنه يخشى عليهم من اضلاله لأن هذا الطريق عبارة عن مخالفة جميع العادات التى ابتلى الناس بها فمن لم يخرق من نفسه العادات لم تخرق له والسالك الصادق إذا خالف العادات فقد خالف الناس فى جميع أوضاعهم فيزعمون أنه مجنون ولا يبالى بذلك لأنه لا تنال المطالب العلية الا إذا

تركت الخلق تركة المجانين ومتى كان فى قلبك أدنى ميل ولو لبعضهم فانت مقطوع بذلك الميل فاذا أردت الوصول فاقطع عنك كل ما يقطعك عن محبوبك وأعرض عن جميع ماسوى الله تعالى ولا تجالس إنسانا ولو قال لك أنا الخضر عليه السلام لأن العارفين رضى الله عنهم شبهوا الحكمة فى القلب بشمعة فى بيت له خمسة أبواب فان سدت الأبواب بقية الشمعة مشعولة وأضاء البيت بنورها وأن فتحت الأبواب انطفت الشمعة وأظلم البيت وكذلك الحكمة فى القلب مع الحواس الخمسة وأن توجة الى سماع المسموعات وابصار المبصرات وشم المشمومات ولمس الملموسات وذوق المذوقات غارب الحكمة وانطفاء النور وأظلم القلب وأن أعرض عن مدركات الحواس الخمس بالخلوة والعزلة عن الخلق بالرياضة وقطع جميع الشهوات تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وهذا هو النور المشار اليه بقوله ﷺ (إذا نزل النور فى القلب انفسح وانشرح قيل يارسول الله هل لذلك من علامه قال نعم التجافى عن دار الغرور والأنابة إلى دار الخلود والاستعداد للموت قبل نزوله) وتحقيق هذا أن القلب له جهة الى عالم الشهادة وهى الحواس الخمسة لأن القلب لا يدرك شيئا من عالم الشهادة الا بواسطة الحواس وله جهة الى عالم الغيب وهو عالم الملكوت فمتى توجه الى عالم الشهادة بالحواس الخمس أعرض عن عالم الغيب ومتى أعرض عن مدركات الحواس الخمس توجه الى عالم الغيب ولا يمكنه التوجه إلى العالمين معا فى حال بدايته فمتى توجه الى أحد العالمين أعرض عن الآخر لكن شتان بين العالمين لأن عالم الشهادة فى غاية البعد من حضرة الحق والقلب إذا توجه اليه وترك عالم الغيب بالكلية كان حيوانا فلذا تراه أسير

الشهوات أسير الغضب كثير النوم كثير الخواض فيما لا يعنى كثير المخاصمة والمجادلة لا يراعى عواقب الأمور وأما إذا توجه إلى عالم الغيب وذلك باتباع الاوامر واجتناب النواهى والأعراض عن جميع مالا يعنيه من فضول الكلام وفضول المنام وفضول الطعام اتصف باوصاف الملائكة الكرام وصار غضبه وشهوته مملوكين له ويتصرف فيهما كيفما شاء فحينئذ يكون إنسانا كاملا محلا للامانة دون غيره وذلك لأن الغضب والشهوة صارا للروح المشترك بين الانسان والملك بمثابة الشيء الكثيف للمرآة فكما أن المرآه لا تنطبع فيها الصورة الا إذا كان أحد وجهيها مظلما كثيفا كذلك الروح لا تكون محلا للتجليات الا إذا كانت مشتملة على الغضب والشهوة لكن بشرط أن يكونا محمودين محفوظين عن التعدى داخلين تحت سياسة العقل والشرع فالغضب والشهوة وإن سمى الانسان بهما ظلوما جهولا لكنهما لما دخلا تحت سياسة العقل والشرع صارا علة لحمل الأمانة وحملها الانسان إنه كان ظلوما جهولا إذا عرفت هذا عرفت أن الغضب والشهوة إن كانا مملوكين لك كنت أنت الخليفة المشار اليه بقوله (انى جاعل فى الأرض خليفة) وإن كنت أنت مملوكا لهما كنت أنت حيوانا فى صورة إنسان بل الحيوان خير منك لأن الحيوان ليس عليه تكليف ولا عذاب فى القبر ولا فى جهنم فجدوا اجتهدأيها الطالب وأترك التوانى واسع على نيل السعادات ونزه نفسك عن درجة الحيوانات واستعن بالله تعالى مع الرياضات والمجاهدات من الجوع والسهر والاعتزال عن الخلق والصمت والذكر والفكر فتملك بذلك غضبك وشهوتك وينشرح صدرك فلا ترى هما ولا غما يوضع عنك وزرك الذى انقض ظهرك فلا يبقى فيك شيء

من مقتضيات البشرية المقتضية للذنوب والآثام فتسعد السعادة الاخروية ويرفع لك ذكرك فتهابك أعداؤك فتنجو من مكرهم فتسعد السعادة الدنيوية ومن كانت هذه أحواله فلا شك أنه هو الخليفة وأعلم أنك وأنت فى أول هذا المقام أعنى المقام الثانى الذى تسمى فيه النفس باللوامة لا تخلو من العجب والكبر وهما سببان للغضب لان الغضب نار مستكنة فى القلب استكنان الجمر تحت الرماد ويستخرجها الكبر من القلب والكبر صفه فى النفس تنشأ من رؤية النفس وهذا الغضب هو حقيقة العجب وأما التكبر على الخلق الحاصل فى الخارج فهو اثر تلك الصفة وهذا الغضب هو الغضب المذموم لأنه ناشىء عن رؤيه النفس فيغلب صاحبه بحيث لا يدخل تحت سياسة العقل واشارة الشرع ويصير الرجل معه كالمضطر فتتغير صورته الظاهرة وتقبح ولا شك أن صورته الباطنة أقبح ولعل هذا الغضب من النار التى خلق منها الشيطان وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا بقوله لعائشة حين غضبت (جاء شيطانك فقالت ومالك شيطان فقال بلى ولكن دعوت الله تعالى فاعانى عليه فأسلم فلا يأمرنى الا بالخير) وقد أودع الله هذه النار فى باطن الانسان لحكمة فاذا اشتعلت بسبب من الاسباب على دم القلب وانتشر فى العروق وارتفع إلى أعلى البدن وانصب على البشرة فتحمر ان كان الغضب على من هو دونه وتصفر إن كان الغضب على من هو فوقه خوفا منه وأن كان غضبه على من هو نظيره فتحمر تارة وتصفر أخرى وقد ذمه النبى ﷺ فى أحاديث كثيرة منها ما ذكرناه فى الباب الثانى وهى لا تكاد تنحصر فمن أراد النجاة فليسع على خلاص نفسه من هذه الخصلة القبيحة التى لا يرضى بها من له أدنى تامل وذلك بقطع مادتها من أصلها وهى الكبر والعجب وقد عرفت

أنهما لاينقطعان بالكلية الابسلوك طريق المقربين وهو أتعاب النفس بالجوع والسهر والصمت والعزلة وابعادها عن عادتها وتنويرها بالذكر والفكر وغير ذلك وعلاج الغضب عند هيجانه أن تأمل فى خسة نفسك وضعفها وتعلم أن من كان فى هذه الخسة لاينبغى له الاستعلاء على الغير وان تعلم ثواب كظم الغيظ وأن تخوف نفسك من عقاب الله تعالى وأليم عذابه وأن تعلم أن الله تعالى أقدر عليك منك على غيرك وأن تحذر نفسك من عاقبة الغضب وهو أنك إذا غضبت وانتقمت من أحد فلاشك أنه يصير عدوا لك متشمرا للانتقام منك وإن كان أضعف منك فيشتغل قلبك وتكثر عليك الأفكار والخواطر والخوف والهموم وكان يغنيك عن هذا كله التحلم عند الغضب فتستريح من هذه الأفكار والهموم وتتشبه بالانبياء والمرسلين وإن لم يكن لك حلم لأن الحلم حالة اضطرارية والتحلم من الأمور الاختيارية وهو كظم الغيظ فانت مكلف بالتحلم لا بالحلم ولكنك أن تحلمت مرة بعد مرة تخلقت بالحلم الاضطرارى وكنت كامل العقل لأن الغضب حينئذ دخل تحت سياستك وقد قال النبى ﷺ (انما العلم بالتعلم والحلم بالتحلم ومن يتحر الخير يعطه ومن يتوقى الشر يوقه) فاذا هجم عليك الغضب فتعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقل (اللهم رب النبى محمد اغفر لى ذنبى واذهب عنى غيظ قلبى وأجرنى من مضلات الفتن) هكذا ورد عنه ﷺ وان كنت فى حال الغضب قائما فاجلس وان كنت جالسا فاضطجع قال النبى ﷺ (الغضب جمرة يوقد فى القلب ألم ترا الى انتفاخ أوداجه وحمرة عيونه فاذا وجد أحدكم من ذلك شيئا فلينتقل فاذا كان قائما فليجلس وان كان جالسا فليقم فان لم يزل غيظه فليتوضأ بالماء

البارد وليغتسل فان النار لا يطفيها الا الماء) وكان من دعائه ﷺ (اللهم أغننى بالعلم وزينى بالحلم وأكرمنى بالتقوى وجملنى بالعافية) وقال النبى ﷺ (ابتغوا الرفعة عند الله تعالى قالوا وما هى يارسول الله قال تصل من قطعك وتعطى من حرمك وتحلم على من جهل عليك) فانظر يا حبيبى بعين بالانصاف الفرق بين الغضب والحلم واختر الأحسن منهما لنفسك وتخلق به لأن اللازم والواجب عليك كمال نفسك وتزكيتها وتصفية قلبك وصقل مرآته وازالة الاكدار الخبيثة عنه ليصير قلبا فتصير أنت به انسانا واستعمل هذه الأدوية وعالج ذاتك الشريفة بها وخلصها من هذه الأمراض النفسانية التى هى أعظم الأمراض الجسمانية وأنفع الأدوية ازالة الكبر والعجب من النفس لأن بازالتهما يزول الغضب الأصلى لأنهما أصله وما ذكر من الأدوية الباقية مزيله للغضب الطارىء مع بقاء أصله وهو الكبر والعجب الا إذا انقطع المدد عنهما وهو الشبع وامتلاء البطن فجاهد نفسك بالجوع والسهر لتتخلص من الغضب ومما يتفرع منه كالحقد وتتخلص مما يتفرع من الحقد كالحسد وذلك لأن الحسد من نتائج الحقد والحقد من نتائج الغضب فيكون الحسد متفرعا عن الغضب بواسطة الحقد والحسد خصلة ذميمة ولذا قال النبى ﷺ (الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب) وحقيقة الحسد أن يكره الانسان نعمة الله تعالى على أخيه فيحب زوالها عنه سواء كانت النعمة دنيوية أو أخروية قال الله تعالى (ودكثير من أهل الكتاب لو يردونكم من بعد إيمانكم كفارا حسدا من عند أنفسهم) فاخبر الله تعالى أن حبهم زوال نعمة الايمان حسد واعلم أن من جملة أسباب الحسد الغضب كما مر وله أسباب أخر مثل حب الرياسة وخبث

النفس وكثير اما تكون هذه الأسباب بين أهل الطرائق المتصوفين فيتمنى أحدهم زوال ما على أخيه من المشيخة أو الخلافة وما هو عليه من الاستقامة والتوجه إلى الله تعالى وذلك من حب الرياسة وخباثة النفس ولو علم هذا الحاسد ضرر هذا الحسد فى الدنيا والآخرة لترك الطريقة واشتغل بالأسباب وذلك خير له أما ضرره فى الدنيا فلانه يتاذى بالحسد ليلا ونهارا وصار ضجيعه لا يفارقه وأما ضرره فى الآخرة فلانه سبب لسخط الله تعالى على الحاسد وثواب للمحسود وعلى كل حال فالحسد قبيح وعلاجه تخويف النفس بما يترتب عليه من التعب فى الدنيا والعقاب فى الآخرة وأحسن علاجه التفكر فى أن الحاسد صار صديقا لعدوه بايصال الشر إلى نفسه وإيصال النفع إلى عدوه وعلى الجملة فآفات النفس كثيرة ولا يقطعها الا الصادقون من سالكى طريق المقربين بمجاهدة النفس والاستعانة بالله تعالى عليها وعلى الشيطان وعلى كل قاطع يقطع السالكين عن طريق مولاهم من الانس والجن وغيرهما لأن كل ما فى الوجود يسعى على قطع السالك عن حضرة ربه غيرة منهم وحسدا وذلك لعلمهم أن من سلك هذه الطريقة وصدق فى سلوكه يؤل أمره إلى الخلافة عليهم والسلطنة على جميعهم ومن كان هـــذا حاله فلا شك أنه محسود ولكن الحسد لا يضر الاصاحبه فينبغى على السالك أن لا يلتفت إلى شىء من الأشياء ولا يبالى منه ولا يخافه ولا يهابه لأن الله تعالى أقرب اليه من جميع الأشياء ولا يتحرك رجل نملة الا بارادته وقدرته وهو أعلم بالسرائر وما انطوت عليه لا يعزب عن علمه شىء فى الأرض ولا فى السماء لأنه تعالى أرأف وأشفق عليه من الوالدة على ولدها ولانه تعالى لا يصدر عنه الا الخير وما يرى من الشر فهو

بالنسبة الى الظاهر والا لو نظرت الى باطنه بعين التحقيق لرايته خيرا محضا وانما سمي شرا بسبب عدم ملائمته لبعض الطبائع (١) وقد يكون ملائما لبعضها فلذلك قالوا أن الخير مقتضى أولا وبالذات والشر مقتضى ثانيا وبالعرض والسالك قبل أن يطلع على هذا السر العظيم يجب عليه الجد والاجتهاد على تصفية القلب ليشاهد شهودا ذوقيا إذا عرفت هذا عرفت حينئذ أربعة أمور لا بد للسالك منهما الأول معرفة أنه تعالى لا يتعاصى على قدرته شيء والثاني أنه تعالى عالم بكل شيء والثالث معرفة أنه تعالى رؤف شفوق أرحم الراحمين والرابع معرفة أنه تعالى جميع أفعاله خير ومن عرف هذه الأمور وصدق بها لا يخاف من كيد الحاسدين ولا يهاب من الانس ولا من الشيطان فعليك أيها الأخ بالتصديق بهذه الاربعة الاشياء والتأمل في معنيها والصدق

---

(١) إذا كانت الامور بخواتيمها ونتائجها كان كل ما يصاب به المؤمن في الدنيا خير لاشك فيه وان كان في ظاهره شراً : إنظر إلى قول الحق جل وعلا (إن الذين جاؤا بالافك عصبة منكم لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير) واى شر أعظم من التكلم في عرض نبي الله بالسوء ومع ذلك يقرر أصدق القائلين سبحانه لا تحسبوه شرا لكم بل هو خير . ويقول جل شأنه (كتب عليكم القتال وهو كره لكم وعسى أن تكرهوا شيئا وهو خير لكم وعسى أن تحبوا شيئا وهو شر لكم والله يعلم وانتم لا تعلمون) فالمرء يحكم عادة على الشيء بحسب ملائمته لنفسه فان تلائم الشيء ونفسه حكم بالخير وان تنافر الشيء ونفسه حكم على ذلك الشيء بالشر وذلك عين الخطأ في الواقع ولذا نرى من برئت نفسه من الحكم على شيء على خلاف ما هو عليه عند الله بدعوى معرفة الاصلح أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي عنه يقول لا أبالي أصبحت غنيا أم فقيرا فاني لا أدري أيهما خير لي

فى التوجه وعدم الالتفات إلى شىء من الأشياء مما لا يعنيك فاما تحققك بان الله تعالى قادر على كل شىء فيزيد همتك على التوجه اليه والطلب منه مع التيقن بالاجابة والطلب على هذا المنوال لا يرد أصلا وأما تحققك بانه تعالى عالم بكل شىء رؤوف رحيم وجميع أفعاله خير فهذه الأمور تحقق لك مقام التوكل والرضا والشوق والمحبة وغير ذلك من المقامات السنية والأحوال المرضية وتعينك على الترقى إلى المقام الثالث وهو الذى تسمى فيه النفس بالملهمة ومنه تترقى الى النفس المطمئنة ثم الى النفس الراضية ثم الى المرضية ثم الى الكاملة وأعلم أنه قد جرت عادة الله تعالى أن الترقى من المقام الثانى الى الثالث لا يكون الا على يد المسلك العارف بمقامات الطريق وأحوالها ويمكن أن يخرق الله تعالى العادة ويترقى من له فهم وذكاء من غير مسلك على الخصوص إذا استعان بمطالعة هذا الكتاب وما ماثله لأنه وان كان مؤلفه ضعيف الحال والمقام لا يذكر بين أصحاب الاحوال وليس هو من خيالة هذا الميدان الا ان مؤلفه هذا لم يسبق بتأليف على هذا المنوال لأن كل باب من أبوابه كالمقدمة للباب الذى بعده فاذا عمل السالك بما فى الباب الرابع مثلا يترقى إلى المقام الذى يشتمل عليه الباب الخامس وهلم جرا إلى أن يصل إلى أعلى المقامات وهو المقام السابع فى الباب العاشر وكذلك الترقى من المقام الثالث الى المقام الرابع لا يكون الا بالاستعانة بانفاس المسلك الكامل لا المسلك العارف لأن الكامل عارف وزيادة فكل كامل عارف ولا عكس ولا يقال للسالك كامل إلا إذا أتقن المقام الرابع الذى تسمى النفس فيه بالمطمئنة وهو أدنى درجات الكمال وقد يقال لمن أتقن المقام الثالث عارف فالفرق وأضح بينهما وانما قلنا لا يكون الترقى من المقام الثالث إلى

المقام الرابع الا بانفاس الكامل لان المقام الثالث أصعب المقامات وأخطرها لأنه جامع للخير والشر والنفع والضرر يلتبس فيه الحق بالباطل والزندقة بالتحقيق إلا على من صارت العبادة واتباع الشريعة خلقا له وكان شريف النفس حسن الاستعداد كريم الأصل على الهمة صائب الفكر قريب الكشف فانه يرى الحق حقا ويرى الباطل باطلا وسيتضح لك خطر المقام الثالث فى الباب السادس الذى هو بعد هذا الباب وأما الترقى من المقام الرابع إلى المقام الخامس ومنه إلى السادس ومنه إلى السابع فانه لا يحتاج فيه إلى المسلك الا القليل من السالكين لأنه إذا أوقد الله تعالى فى القلب سراجا من سرج الكمال أبصر السالك جميع الكمالات وبقى وصوله اليها متوقف على همته بتوفيق الله تعالى فلا يحتاج إلى المسالك كثير احتياج وقد عرفت أن الباب الرابع مقام كمال وإن كان أدنى الكمالات

الباب السادس

فى بيان النفس المطمئنة وبيان سيرها وعالمها ومحلها ومعاملها وواردها وصفاتها وبيان العلاج من الخلاص منها والترقى عنها إلى المقام الرابع

فسيرها على الله يعنى أن السالك لا يقطع نظره فى هذا المقام إلا على الله تعالى لظهور الحقيقة الايمانية على باطنه وفناء ماسوى الله فى شهوده وعالمها عالم الارواح ومحلها الروح ومعاملها العشق وواردها المعرفة وصفاتها السخاوة والقناعة والعلم والتواضع والصبر والتحلم وتحمل الاذى والعفو الناس وحلمهم على الصلاح وقبول عذرهم وشهود أن الله تعالى اخذ بناصية كل

دابة فلم يبق له اعتراض على مخلوق أصلا (١) ومن صفاتها الشوق والهيمان والبكاء والقلق والاعتراض عن الخلق والاستغال بالحق والتلوين وتعاقب القبض والبسط وعدم الخوف والرجاء وحب الاصوات الحسنة وزيادة الهيمان عند سماعها وحب الذكر وبشاشة الوجه والفرح بالله والتكلم بالحكم والمعارف والمشاهدة فهذه الصفات وأمثالها صفات النفس الملهمة وانما سميت ملهمة لان الله تعالى الهمها فجورها وتقواها وصارت تسمع بغير آلة لمة الشيطان بعد أن كانت وهي في المقام الذي قبل هذا لا تسمع شيا لانها كانت قريبة من مقام الحيوانات

---

(١) لكل مقام في المقامات حكمه وحكم هذا المقام أن يرى السالك فيه أن الأمر كله بيد الله وما من دآبة في الأرض الا هو آخذ بناصيتها فيحمله الشهود فيه لهذه الحقيقه على عدم الاعتراض على أحد من خلق الله ولا يرى وهو في هذا المقام شيئا من القبح كما قال القائل. إذا ما رأيت الله في الكل فاعلا صيرت جميع الكائنات ملاحاً : وان لم تر الا مظاهر ضده جعلت وصيرت الملاح قباحا : وهذا وان كان كمال في مرتبه أعلى ممن دونه الا أنه بالنظر إلى الكمال المحمدي يعتبر نقصاً . لان لكل فعل يقع في الكون نسبتان نسبة الى الله تعالى باعتباره الخالق لكل شيء وهي نسبة خلق وايجاد ونسبة إلى العباد وهي نسبة اضافة وإسناد فشهود الحقيقة دون النظر الى المرتبة الخلقية يقتضي التسليم للخلق فيما هم فيه أو عليه وهذا فيه تعطيل لمرتبة الامر والنهي على الأقل عند صاحب هذا الشهود الذي لم يتسع استعداده بعد لشهود الأمرين ومن هنا كان وجه النقص . وشهود المرتبة الخلقية دون النظر الى شهود هذه الحقيقة حجاب ونقص فالكمال المحمدي في ذلك الأمر هو ان تشهد

ولاجل أنها سمعت لمة الملك ولمة الشيطان (٢) كان هذا المقام خطرا صعبا يحتاج السالك فيه الى من يخرجه من ظلمة الشبهات إلى نور التجليات لانه وهو فى هذا المقام ضعيف الحال لا يفرق بين الجلال والجمال ولا بينما ألقاه الملك وألقاه الشيطان لانه لم يخلص من الطبيعة بالكلية ولم تسلب عنه جميع مقتضيات البشرية ويخشى عليه ان غفل عن نفسه أن يهوى الى سجين وأسفل السافلين أعنى المقام الأول الذى تسمى فيه النفس بالامارة فيرجع إلى ما كان عليه من الاكل الكثير والشرب الكثير والنوم الكثير والاختلاط مع الخلق وربما يفسد اعتقاده ويترك الطاعات ويرتكب المعاصى ويزعم أنه موحد مكاشف بحقائق الأشياء وأنه من المحققين أهل الكشف وأن غيره من أهل الطاعات محجوبون عن هذا الشهود فان فسد اعتقاده هلك مع الهالكين والتحق بالكفرة المشركين واطلعت نار الطبيعة على فؤاده فاحرقت ما كان فى قلبه من الايمان وضاع تعبه وعناه وما بلغ شيئا من مناه صار شيطانا ضالا مضلا لاحت له خيالات شيطانية فظن أنه تجليات

الأمرين حقا مع أعطاء كل مرتبة حكمها فتضيف الى الحق ما أضاف الحق لنفسه وتضيف الى العبد ما أضاف الحق إليه فان كان خيراً حمدته بلسان الشرع وان كان شرا انكرت عليه بلسان الشرع والمنكر بلسان الشرع فى طور التحقيق غير معترض . وفقنا الله الى مافيه الصواب والرشد .

---

(٢) يقول ﷺ أن فى القلب لمتين لمة من الملك ايعاد بالخير وتصديق بالحق فمن وجد ذلك فليحمد الله عز وجل ولمة من الشيطان ايعاد بالفقر وأمر بالفحشاء فمن وجد ذلك فليستعذ بالله من الشيطان الرجيم ثم تلا قول الله تعالى الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء والله يعدكم مغفرة منه وفضلا .

رحمانية بعد أن كانت بشريته قد رقت وروحانيته قد قويت وزال عن قلبه صممه وقرب فرجه وما بقى عليه الا القليل حتى يدخل حضرة الملك الجليل ولاحت له بشائر التوحيد وقوى على المجاهدة والتجريد وسبب هذه المصيبه التى أصيبها هذا السالك بعد قربه من مقام الكمل أنه كان قريب العهد من المقام الأول أعنى المقام الذى تسمى فيه النفس بالامارة وبسبب الرياضة والمجاهدة أن كشف عنه بعض الحجب وزال عنه الخوف الذى كان حاصلا من الحجب وكان يمنعه من المعاصى ويبعثه على الطاعات وقل من اذا زال خوفه أن يدوم اتباعه للشريعة فالواجب عليك أيها السالك فى هذا المقام متابعة الشيخ وإن سولت لك نفسك أنك أرقى منه وأنك موحد وأنه محجوب ويجب عليك اتباع الشرع وملازمه الأدب وأن تكره نفسك على قراءة الاوراد وتقيدها بقيود الطريقة وان عسر عليها ذلك لأنها فى هذا المقام مائلة للاطلاق وخلع العذار وعدم المبالاة او المقصود مخالفتها الى أن تطمئن وذلك بالوصول الى المقام الرابع الذى تسمى فيه النفس بالمطمئنة وهو سعادة الدارين وقرة العين ومتى وضع السالك قدمه فيه خلص بعون الله تعالى من جميع الآفات النفسانية وجميع مقتضيات البشريه لأنه ترقى الى أول درجات الكمال وهبت عليه نسمات القرب والوصال وانتقل من التلوين الى التمكين فانهض ياطالب الكمال واترك رعونات النفس ولا تغتر بما لاح لك من التوحيد ولا تجعله سببا لرجوعك وانقطاعك عن مطالبك العلية بل كن مستعينا به على تمزيق ما بقى من الحجب النورانية واطلب الحضرة الاحدية ولا تلتفت فى طريقك الى ما لاح من البوارق العلوية لانها حجب تمنعك عن التقرب الى الذات العلية وتكون سببا

لعودك الى مقام الحيوانات فداوم على الأشياء التى أوصلتك الى ما أنت فيه من الانكشاف تخلص من الخطر ويزيد انكشافك وذلك بان تفعل ما كنت تفعله أولا من السهر والجوع والاعتزال عن الخلق وقلة الكلام وأن تتمسك بأذيال شيخك ان كان هو كاملا وسيرد عليك أو صافه فى خاتمة الكتاب بان تخبره بكل ما خطر لك حسنا كان أو قبيحا وكل مازاد اعتقادك به قوى انجذابك إلى عالم القدس وضعف جانب البشرية وقد يغلب على ظنك فى هذا المقام أنك أعرف من شيخك فتتحرم المدد منه إن فعلت ذلك فادفع هذا الظن بمطالعة خاتمة هذا الكتاب فانك تعلم منها أوصاف الكامل ولا يلتبس عليك بغيره ومتى علمت أنه كامل فادخل تحت كنفه واجزم بأن خلاصك على يده وتحمل ماتلقاه منه من الاذى وكن بين يديه كالميت بين يدى الغاسل وأياك أن تنكر عليه حالة من حالاته واذا صار لك عليه انكار فاعرضه عليه وتب منه إليه وقد يحصل لك منه ما يقتضى الانكار عليه كأن تراه ينهر خادمه على اتلاف شيء من الأشياء التى لاقيمة لها ويضربه ويتألم على فقد ذلك الشيء فادفع هذا الانكار بان أحوال الكامل لاتقاس على أحوال غيره ولا يعلم حقيقة الكامل الا الله تعالى واذا لم يتيسر لك صحبة الكامل فعالج نفسك باتباع الشريعة وملازمة الاوراد الواردة عن النبى ﷺ والاستغفار وأكثر من صحبة الابرار هذا كله إذا وقعت فى الخطر وغلب شر هذه النفس على خيرها فان لم تقع فى الخطر وغلب خيرها على شرها فانبسط وانشرح وانطرب واخلع العذار وأعرض عن الاكدار ولاتتفكر فى جنة ولا نار ولا تلتفت إلى من يعيرك بخلع العذار المحجوب بأغيار وان غضب عليك وقلاك لأن

مطلوبك غير مطلوبه فلا يمكن الاتفاق بينكما لأن مطلبه سفلى ومطلبك علوى وهما ضدان لايجتمعان قال تعالى (فاعرض عن من تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحياة الدنيا) وصاحب من كان مطلبه موافقا لمطلبك وفى هذا المقام قال العارف بالله تعالى قدس الله سره

خلعت عذارى واعتذارى لابس الخلاعة مسرورا بخلعى وخلعتى
وخلع عذارى فيك فرض وأن أنى اقترابى قومى والخلاعة سنتى
وليسوا بقومى أن أعابوا تهتكى وأبدوا قلا واستحسنوا فيك جفوتى
فأهلى فى دين الهوى أهله وقد رضوا إذا عارى واستطابوا فضيحتى
فمن شاء فليغضب سواك فلا أذى إذا رضيت عنى كرام عشيرتى

والحاصل أن هذا المقام الثالث مقام جامع للخير والشر فان غلب خير النفس على شرها ترقت إلى المقامات العلية وان غلب شرها على خيرها تنزلت إلى سجين الطبيعة وأسفل السافلين ويجب على السالك حينئذ اتعابها وتحقيرها كما مر وعلامة غلبة الخير على الشر أنك ترى باطنك معمورا بالحقيقة الايمانيه وظاهرك معمورا بالشريعة الاسلامية وذلك بان يكون باطنك محققا بان جميع ما فى الوجود جار على وفق إرادة الله تعالى مقدور بقدرته تبارك وتعالى وأن يكون ظاهرك متلبسا بالطاعة مجتنبا لجميع الكبائر وأكثر الصغائر سواء كنت بين الناس أو فى الخلوة هذا علامة غلبة الخير على الشر وأما غلبة الشر على الخير فهو أن يقوى شهود الحقيقة الايمانية على السالك مع بقاء شىء من بشريته ولا يكون ظاهره معمورا بالشريعة فيترك الطاعات ويرتكب المعاصى والمخالفات وذلك لأنه لما قوى عليه شهود الحقيقة ورأى أن أفعاله جارية على وفق إرادة الله تعالى انحجب بأنوار الحقيقة

عن أسرار الشريعة فطرد عن أبواب الحضرة الجامعة للضدين وعن شهود الواحد الحقيق اثنين ووقف عند البوارق التى وافقت طبعه وخسر دنياه ودينه فغلب شره خيره وصار زنديقا لا يقف عند دين من الأديان ولا يميز بين الإنسان والحيوان وسأضرب لك مثلا يعينك على الخلاص من شر هذا المقام عند غلبة شهود الحقيقة وسقوط الشريعة من عينك وبه تعلم أن الشريعة باطن الحقيقة وسرها لا كما فهمته من مطالعة الكتب وبعض الأفواه من أن الحقيقة هى باطن الشريعة وسرها وذلك كسيد بنى دار عظيمة ووضع فيها جميع ما يحتاج اليه الانسان من أمور الدنيا والآخرة وجميع الأمور الخيرية والشرية وعين لكل نوع من أنواع الخير بابا وأخبر عبيده أنه قد جرت عادتى أنى لا أخرج هذا النوع من الخير الا من هذا الباب وعين لكل نوع من أنواع الشر بابا وأخبرهم كذلك فعين للخبز بابا مثلا وللماء بابا وللحم بابا وللملح بابا وللثياب بابا ولكل نوع من أنواع الملبس بابا وعين لصحبته أبوابا ولرؤيته ولرضائه أبوابا ولسخطه أبوابا وأمثال هذه الأشياء مما لا يعد ولا يحد ثم أرسل الى عبيده رسولا ليبين لهم ما عينه من الأبواب لاخراج ما فى الدار وليبشرهم أن من وقف على أبواب الخير وطلبه أصابه ما عينه لها السيد ورضى عنه السيد ولينذرهم أن من وقف على أبواب الشر وطلبه أصابه ما عينه لها السيد وغضب عليه السيد فجاء بعض العبيد ووقف على أبواب الخير وقفة الذليل الحقير وطلب من السيد ما عينه بفضله وكرمه وما نظر إلى الابواب الا من حيث أن السيد عينها لان يخرج نعمه منها فلم تحجبه رؤية الابواب عن شهود السيد والتذلل له ولا أهمل الابواب وطلب نعم السيد من غير الابواب

التى عينها السيد حيث يكون تاركا للادب مبطلا لما اقتضته حكمة السيد فهذا الصنف من العبيد هم المقربون عند السيد وهم أحباؤه لانهم وضعوا كل شيء فى موضعه والصنف الثانى من العبيد فعلوا مثل ما فعل هؤلاء الا أنهم لما وقفوا ممتثلين أمر السيد أعجبتهم نفوسهم ورأوا أنهم خير من لم يمتثل أمر السيد فحمس عليهم السيد أنهم معجبون فأخرج لهم ما عينه من الخير الا أنه لم يقربهم من حضرته كما قرب الصنف الاول وأما الصنف الثالث من العبيد فانهم لم يقفوا على الابواب فلم يخرج لهم ما عينه السيد لكونهم يعتقدون أن الابواب لا دخل لها أصلا بل ولا هناك أبواب وأن المعطى هو السيد من غير باب ولا اقتضاء حكمة فابعدهم السيد عن حضرته لجهلهم بحكمته وعدم وقوفهم على أبوابه فصاروا يدعون محبته وهو يكرههم فالعبيد حينئذ على ثلاثة أقسام قسم شهدوا أن السيد معطى من باب عينه بفضله وقسم شهدوا هذا المشهد مع رؤية نفوسهم وقسم لم يشهدوا سوى السيد فالسيد (مثال لله تعالى ولله المثل الأعلى والدار مثال لخزائنه الغيبية والابواب مثال للحدود الشرعية ورسول السيد مثال لرسول الله ﷺ فما حده ﷺ الصلاة مثلا فكأنه قال أقيموا الصلاة وعدلوا أركانها تحصل لكم قرة العين ويرضى عنكم رب العزة جل جلاله) لان الصلاة باب من أبواب خزينة الغيب يخرج منه للمصلين الفارغ القلب قرة العين كما قال النبى ﷺ (وجعلت قرة عينى فى الصلاة) ولم يقل بالصلاة فافهم فمن امتثل قوله وأقام الصلاة مطيعا لامره راجيا ما وعده من قرة العين فى الصلاة والنعيم المقيم فى الآخرة كان من المقربين ونال مراده فوق ما كان راجيا ومن فعل مثل ما فعل هؤلاء ولكن دخل عليه العجب حيث أنه أطاع

أوامر سيده كان من الابرار ومن ترك الصلاة وقال نعم الله تعالى وألطافه وتجلياته وجناته وحورها وولدانها لا تتقيد بالصلاة لأنه لا مانع لما أعطى فقد أتى الدار من غير بابها فان لم يقم الصلاة كان زنديقا جاهلا ما أودعه الله تعالى فى الصلاة من قرة العين فهذا لو خرج له من باب الصلاة ما وعد الله المقربين من التجليات لما تركها وقس على الصلاة جميع الأوامر والنواهى الشرعية وأعلم أن رضا الله تعالى وتجلياته لا تصل للعبد الا من أبواب الطاعات وأن سخط الله وطرده وبعده لا تصل للعبد الا من باب المعصية فقف على أبواب الشريعة وقفة الذليل الخاضع لربه الجليل واسأل مولاك كل شئ تحتاج اليه فانه لا يخيبك وإياك أن تنغر بمالاح لك فى هذا المقام من أسباب الطرد واللعن فتتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله والله يتولى هداك واستعن على مطالبك فى هذا المقام بتلاوة الاسم الثالث وهو (هو) حتى تظهر ان شـــاء الله تعالى على الهوية السارية فى جميع الوجودات وليكن أولا بياء النداء ثم بدونها وذلك فى جميع الأوقات فى القيام والقعود والاضطجاع آناء الليل وآناء النهار لتخلص ببركته من خطر هذا المقام وبه ينقطع ما بقى من التفات النفس الى المقام الأول والثانى لأنها لا تخلو من الالتفات اليهما لان الطبع يغلب التطبع وهى تترقب غفلتك فمتى غفلت عن سوقها وزجرها عادت الى الفها وسوقها فى هذا المقام بالعشق والهيمان والشوق الى الوصال والى الاجتماع مع الاحباء وتذكر لقاء المحمود والتمتع بجمال وجه المعشوق فان هذه الاشياء تقوى السالك على السير خصوصا إذا رأى نفسه رجع الى ورائه فانه ينقطع قلبه ويزيد بكاؤه وقد روى عن مجنون ليلى حكاية فيها إشارة الى هذا المعنى قال ركبت ناقتى وتوجهت

نحو حي ليلى وسقتها بهمتى حتى قطعت مسافة كثيرة فغلب على النوم فنمت فلما استيقظت رأيت الناقة قد رجعت إلى المكان الذى ارتحلت منه لانها ألفت ذلك المكان الذى فيه ولدها فركبتها وتوجهت مـــرة أخرى وسقتها بهمة أقوى من الهمـة الاولى فخفقات فلما استيقظت رأيتنى فى المكان الذى ارتحلت منه ولم أزل أركبها وهى تلتفت إلى الفها وولدها حتى عجزت وذللت وقلت حيلتى فالقيت نفسى من على ظهرها فانكسرت رجلى فزحفت زحفا إلى أن وصلت إلى ليلى فالقاء نفسه من على ظهرها إشارة إلى اظهار العجز والمذلة والانكسار والعبودية لأن هذه الأشياء تعين على الوصول إلى جميـــع المطالب لأن الذل والافتقار والمسكنة أكسير السعادة قال بعض العارفين وكنت وأنا فى هذا المقام إذا سمعت هذه الحكاية أو حكيتها لأحد ينقطع قلبى وتنسكب عبرتى على خدى وتركبنى الذلة والمسكنة حتى يرحمنى كل من رآنى ويرثوا لحالى ومع هذا أنا ملتذ ببكائى ومتنعم بتقطيع قلبى راض بالمسكنة والذلة فما أحسن هذا الطريق وما أحلى أحـواله وما أعلى مقام سالكيه وما أنعم بالهم وان افتقروا فهم الاغنياء وان ذلوا فهم الاعزاء رأس مالهم الذل والافتقار واظهار العجز والمسكنة قال العارف بالله تعالى قدس الله سره

ذللت لها فى الحى حتى وجدتنى ... وأدنى منال عندهم فوق همتى
وأهملنى وهنا خضوعى لهم فلم ... يرونى وهنانى محلا لخدمتى
ومن درجات العز أمسيت مخلدا ... الى درجات الذل من بعد نخوتى
ولو عز فيها الذل ما الذل الهوى ... ولم يك لولا الحب فى الذل عزتى

وأعلم أيها العارف أنك أنت فى هذا المقام روحانى لطيف قد أشرقت

عليك شمس العيان وأقبلت عليك بشائر الكمال وهب عليك نسيم الوصال وكشف عن قلبك من الحجب أكثفها وأكثفها وزال عن نفسك من الحظوظ أعظمها وأقبحها لأن هذا المقام للروح والروح وإن كانت محجوبة عن شهود جمال الحق ولها حظوظ تقطعها عن الوصول إلى حضرته الا أن حجابها نورانى وحظوظها مقبولة لأن حظوظ طلب رؤية الحق وطلب المشاهدة والوصال وذلك من غلبة العشق والشوق والهيمان المقتضية لطلب الشيء قبل أوانه وهذا شأن العاشقين فأنت فى هذا المقام من العاشقين المتلذذين بالذل والافتقار والمحبين الذين ليس لهم عن محبوبهم اصطبار وكل ما سمعت من الاشعار المنقولة عن السادة الصوفية فهى مقولة فى هذا المقام فاخلع العذار ولا تبال من العار واسع على سقوط حرمتك من أعين الناس بتغيير الجلاس حتى لا يكون لهم بك اعتنى ولا يكون لك عندهم قيمة ولا قدر ولا ذكر لأن بهذه الأشياء يلتذ العاشق وبها يعلم الكاذب من الصادق ولذا قال العارف بالله تعالى سيدى عمر بن الفارض

ولو عرفيها الذل ما لذلى الهوى ولم يك لولا الحب فى الذل عزتى

ومدح المحبة كثير والصادقون منهم قليلون والصادق فى المحبة هو الذى ليس فى قلبه سوى محبوبه نسى الخلق كلهم فلم يخطروا على باله وإذا لم يخطروا بباله فهو أيضا لم يخطر ببالهم فكذلك لم يذكروه ولم يعتنوا به وأنكروا عليه حاله وقالوا عنه أنه مجنون لأنه بدل ما كان عليه من العز والرفعة بالذل والانخفاض قال العارف بالله تعالى مشيرا إلى هذا المعنى

تبالهم قومى مذ رو أنى متيما وقالوا بمن هذا الفتى مسه الخبل

وماذا عسى عنى يقال سوى غدا بنعم له شغل نعم لى بها شغل

وقالت نساء الحي عنا بذكرهن جفانا وبعد العز نلة الذل
إذا أنعمت نعم على بنظرة فلا أسعدت سعدى ولا أجملت جمل

وأعلم ياحبيبي أن من شرط المحب امتثال أمر المحبوب ولبعضهم في هذا المعنى شعر

تعصى الاله وأنت تظهر حبه هذا لعمرى فى الفعال بديع
لو كان حبك صادقا لأطعته ان المحب لمن يحب مطيع

وإياك أن تزل بك القدم وتظن أن المراد بخلع العذار ترك الاوامر الشرعية كما يظنه الضالون المضلون الملاحدة الزنادقة الذين لم يخرجوا من عالم الطبيعة ولم يكن لهم علم بالحقيقة ولا اتباع الشريعة فيتركون الصلاة والصوم ويتبعون شهوات ويفعلون المنكرات ويدخلون الخمارات والقهوات ومع هذا كله يدعون أنهم أناس موحدون وأنهم محبون لحضرة الحق وأن مايفعلونه هو خلع العذار وأن مثلهم قد سقط عنه التكليف ولم يعلموا وتلهم الله تعالى أن هذا كفر وضلال وبعد عن حضرة ذى الجلال ولا يوافق مذهبا من المذاهب ولا دينا من الاديان وما أشبه أصحاب هذا المذهب بالحمير فى الاكل الكثير والنوم الكثير وعدم المبالاة وعدم الحياء من الخلق فى قضاء شهواتهم بين الناس فإياك أيها العارف أن يغلب هذا الشهود الشيطانى عليك وتعتقد ان المراد من خلع العذار هذه الأمور النفسانية والاهواء الشيطانية بل المراد من خلع العذار أنك تفعل الافعال المأمورة للشريعة المسقطة لجاهك وتعظيمك عند الخلق الموجبة لعدم اهتمامهم بك وعدم توقيرهم لك بان تحمل حاجة بيتك على ظهرك وتحمل طبق العجين على رأسك وتبزه وتنقل الماء إلى عيالك وإلى أخوانك وتختلف هذه الاعمال باختلاف الاشخاص فقد تكون هذه الأشياء مسقطة لجاه بعض الناس وقد يكون فيها تعظيم بعضهم فينبغى عليك أن تنظر

الأشياء التى تسقط جاهك عند الناس وتفعلها والله هو الوكيل عليك وإن أحسنت أحسنت لنفسك وإن أسأت فعلى نفسك فلا تلبس على نفسك فان وخامة التلبيس راجعة عليك وإياك أن تفعل ما يخالف الشرع وتقصد به اسقاط جاهك من أعين الناس بان تشرب الخمر أو تفعل شيئا من المحرمات فان هذه وسوسة شيطانية تقطعك عن مطلوبك فان المحرمات من خواصها ظلمة القلب ومتى أظلم القلب شوهدت الأشياء على خلاف ما هى عليه ووقع الحبط وأنت ان كنت صادقا فى طلب الأشياء المسقطة للجاه فعليك بالأشياء المباحة الشرعية تراها أكثر من الرمل والتراب أى حاجة لك بالمحرمات التى اذا فعلتها تلفت عليك كل ماتعبت عليه فى سلوكك انما المراد أنك تفعل شيئا يصلح ماتعبت عليه ويفيدك فائدة تساعدك على قطع ما بقى فيك من القواطع المانعة من الوصول وفائدة خلع العذار الشرعى قطع الموانع التى تمنع عن لقاء المحجوب وهى كثيرة جدا ولا يقطعها كلها الا خلع العذار بالوجه الشرعى مثلا الملبس الفاخر من بعض القواطع لأنه يحتاج من ابتلى به الى تحصيله بانواع الحيل والتعب وهذا قاطع له عن محبوبه فيرميه بعض فوائد خلع العذار وقس على هذا المثال أن كنت عارفا بكل شىء يقطع عن حضرات القرب ويصرف وجه السالك عن جناب الرب وأعلم أنك فى هذا المقام لا يعسر عليك خلع العذار كما يعسر فى غيره من المقامات لأن هذا المقام مقام العشق ومن كان فى مقام العشق يسهل عليه خلع العذار ولذلك لم نذكره فى المقام الذى قبله ولا فى الذى بعده لان كل مقام له مقال وما الذه إذا كان على الوجه الشرعى وما أنوره وما أكثر ثوابه وما أفبله عند العقلاء وان اغتاظ منه الحمقا السفهاء واعلم أيها السالك انك متى تممت

خلع العذار ماتت نفسك الشيطانية القاطعة عن جناب الحق وحصل لك خطاب الروحانيين بأمر أو نهى أو خبر ولا تلتفت إلى شيء منه (وقل الله ثم ذرهم فى خوضهم يلعبون) ولا يزدك خطابهم فرحا ولا حزنا لان مقصد الجميع أن يلهوك عن مطلوبك فلا تشتغل إلا بمحبوبك وان لم تسمع شيئاً فهو الاحسن فى حقك والاصلح لك لان الطالب قد ينقطع عن السلوك بسبب سماع شيء من ذلك لانه شيء غريب ما سمع مثله قط فيظن أنه خطاب الحق وأنه وصل إلى مطلبه فتفتر همته وتكل عن العمل ويرجع إلى عالم الطبيعة وهذا أيضاً من خطر هذا المقام فكن منه على حذر ولا تنقطع بشيء من الانوار فإن الى ربك المنتهى ولا تقف عند شيء سوى الله واستعن به على قطع مايقطعك عنه فانه لا وصول اليه إلا به واياك أن تغتر بشيء يكشف لك فتفتر عن مجاهدتك بعدماصارت لك خلقاً وسهلت عليك لان مطلبك غالى الاسعار عالى المقدار كثير الاخطار لا يصل اليه الاكل من علت همته ولا يهتدى اليه الاكل من صحت إرادته وفى هذا المقام يعرض عليك حالة الفناء فتعينك على الترقى من هذا المقام الى المقام الرابع وهو الذى تكون النفس فيه مطمئنة والفناء فى هذا المقام حالة تعرض على السالك تغيبه عن كل مدرك غيبة ذهول لاغيبة اغماء أو نوم فتذهل كل حاسة عن محسوسها وتصير كأنها تدرك ولا تدرك تذهل العين مثلا عن المبصرات مع أبصارها لها فيصير حال السالك كحال رجل أصيب بمصيبة فمر فى تلك الحالة على صاحبه ونظر الى وجهه ولم يسلم عليه فاذا قال له لأى شيء تمر بى ولا تسلم على فيقول له والله ما رأيتك من عظم مصيبتى وكذلك الاذن فتسمع الاصوات وكأنها لم تسمعها

وكذلك جميع الحواس ويذهل العقل أيضا عن المعقولات وهذه الحالة لا يعرفها حق المعرفة الا من اتصف بها ومن هنا (قال العارف بالله أوقفني وقال لي اعرفني بالمعرفة التي لا يقابلها الجهل فان المعرفة التي يقابلها الجهل جهل وهذا الفناء هو الفناء الاول وأما الفناء الثاني) فيعرض عليه في المقام الخامس الذي تسمى النفس فيه بالراضية وأما الفناء الثالث فهو هلاك الصفات البشرية في المرتبة الاحدية وقد مر بيانه في تعريف حق اليقين وهذا الفناء الثالث هو عين البقاء كما قيل في هذا المعنى .

فيفنى ثم يفنى ثم يفنى وكان فناؤه عين البقاء

وأعلم أنك في حال الفناء الاول تسمع كلام الروحانيين لا بحاسة السمع ولا تفهم منهم شيئا ولكن إذا انصرفت عنك حالة الفناء ورجعت الى الاحساس فهمت ما قالوه ووعيت ما ألقوه إلى سرك وتصورت ما نقشوه في مرآة قلبك فحينئذ أن تكلمت نطقت بالحكمة وأشار إلى هذا السر النبي ﷺ بقوله من أخلص لله أربعين صباحا تفجرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه وكلام الروحانيين في هذا الاسلوب يقال له صلصلة الجرس اللهم يامن إذا سئل أعطى لا تحرمنا والمحبين هذا الفناء ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ولا مبلغ علمنا واصرف عنا كل شيء عنك يقطعنا يارب العالمين وياواصل المنقطعين أوصلنا اليك ولا تقطعنا بالاغيار عنك برحمتك يا أرحم الراحمين فان قلت هل لهذا الفناء سبب إذا فعله السالك تعرض له هذه الحالة فالجواب أن سببه ستة أمور بها صارت الابدال ابدالا وهي الذكر والفكر والجوع والسهر والصمت والاعتزال وأعظم أسبابها الجوع فيا ايها الراغب في هذا الفناء لا تترك الرياضة

والمجاهدة فى هذا المقام وأن صعبت عليك ولاتنس فضلها عليك ولاتغتر بمالاح لك من البارقات التى لاتعلم أنها شيطانية أم رحمانية لما عرفت أن هذا المقام أعنى المقام الثالث محل التلبيس لايفرق السالك فيه بينما يلقيه الملك وبينما يلقيه ابليس قيل للجنيد قد وصلت إلى الله تعالى فاى غرض لك فى السبحة فقال شىء أوصلنى إلى مطلوبى لاينبغى لى تركه وأنت أيها السالك لاتغتر بمالاح لك وتترك الاشياء التى تحققت أنها خير محض وانها توصل بعون الله تعالى إلى ماصعب من الطريق فان النفس عدوة فلاينبغى أن تأمنها ولو بلغت المقامات العلية فداوم على الرياضة والمجاهدة يزيد عشقك ويقوى هيمانك وتلتذ بما أنت فيه من الشوق والسكر وخلع العذار ومقام العشق مقام لذة حتى أن العاشق من عظم مايرى من اللذة لم يرد الترقى عن مقام العشق مع أن العشق حجاب عن المعشوق ولايرغب فى الخلاص مما هو فيه من ضيق الصدر والكآبة وتقطع الاحشا وغير ذلك مما هو مسبب عن العشق بل يطلب دوام هذه الحالة عليه قال سلطان العاشقين مخاطبا للذات العلية .

ولو لفنائى من فنائك رد لى ... فؤادى لم يرغب الى دار غربة

فحالة العشق حالة مقبولة عند العاشقين وان كانت بالنسبة إلى مافوقها من الحالات مذمومة حتى أن الكامل إذا تذكر حالة العشق وأوقاته تراه يتحسر لما فيها من خلع العذار وعدم المبالاة ولكنها هى مع المجاهدة والرياضات حاله صادقة وصاحبها صادق فى جميع مايقوله من أشعار العاشقين وإذا تكلم يتكلم بحرقة وتأوه ناشىء من قلبه وهى مع عدم المجاهدة والرياضة حالة كاذبة وصاحبها كاذب ليس مما يقوله من أشعار

العاشقين له طعم ولاله فى القلوب تأثير تمجه النفوس إذا سمعته وقد أخبر عن هذا العاشق الكذاب سلطان العاشقين عمر بن الفارض فقال .

تعرض قوم للغرام وأعرضوا بجانبهم عن صحتى فيه واعتلوا
رضوا بالامانى وابتلوا بحظوظهم وخاضوا بحار الحب دعوا فما ابتلوا
فهم فى السرى لم يبرحوا من مكانهم وماظعنوا فى السير عنه وقد كلوا
وعن مذهبى لما استحبوا العمى على الهدى حسدا من عند أنفسهم ضلوا

ولما كان هذا المقام للروح والروح محل العشق والهيمان والذهول كانت أقامة السالك فيه مدة طويلة لأن العاشق ذاهل عن نفسه ومشتغل عن محبوبه بذكر اسمه والترنم بالاشعار التى يمدح فيها حسنه وجماله وذلك كله فى حالة البسط وأما إذا وردت عليه حالة القبض بعد البسط واستيقظ من نومة العشق والهيمان وناتى صدره وكاد أن ينخلع قلبه من صدره فيذل ويخضع ذلا وخضوعا حقيقيين ولاتزال حالة القبض والبسط تتعاقبان على السالك فى هذا المقام حتى يرتقى إلى المقام الرابع فيكمن عشقه ويتبدل القبض والبسط بالهيبة والانس وهما حالتان تتعاقبان على الكامل لا يعرفان إلا بالذوق (والفرق بين الهيبة والقبض أن القبض تضيق منه النفس والهيبة ليست كذلك والفرق بين الانس والبسط يغلب صاحبه حتى أنه يخشى عليه أن يسىء الأدب مع الله تعالى والانس ليس كذلك) وعلى الجملة فالخوف والرجاء والقبض والبسط والهيبة والانس حالتان لاغير ولكن تتبدل أسماء هذه الاشياء باعتبار الأشخاص والمقامات فاذا اتصف بهما من كان فى النفس الامارة واللوامة سميا خوفا ورجاء وإذا اتصف بهما من فى النفس الملهمة سميا قبضا وبسطا وإذا اتصف بهما من كان فى النفس

المطمئنة أو الراضية أو المرضية سميا هيبة وانسا وإذا اتصف بهما من كان فى النفس الكاملة سميا جلالا وجمالا فالخوف والرجاء للمبتدى والقبض والبسط للمتوسط والهيبة والانس للكامل والجلال والجمال للخليفة فاجتهد أيها السالك على الترقى مما أنت فيه من القبض والبسط المتعبين لك إلى الهيبة والانس ومنهما تترقى إلى الجمال والجلال المريحين لك فان كلاهما حسن ومنفعة لك ولاخوانك على الخصوص الجلال فانك ماتوجهت فى حالة الجلال الى شىء الا وقع باذن الله تعالى لانك حينئذ خليفة الله فى أرضه وعبده الحقيقى الصرف فيغضب لغضبك وينتقم لانتقامك فترى التأثير الجارى على يدك فى الوجود بعينه منه من غير شبهة فيزيدك ذلك أدبا مع خالقك وتوبة من ذنوبك واستغفارا من غفلة قلبك عن مقام العبودية ومتى رأيت نفسك وأنت فى المقام الثالث مستقيما على المجاهده والرياضة فافرح بذلك واستقم كما أمرت (واعبد ربك حتى يأتيك اليقين) فانك وأنت على هذه الحالة متعرض للكمال وللجذبة التى هى خير من عمل الثقلين فلا تضجر ولايضق صدرك فانك على خير ومتعرض للسعادة واذا حصل لك ضيق وحصر فاصبر ولاتخلو وأنت فى هذا المقام من الحصر لأنه مقام الروح والروح له الاطلاق ففى ساعات القبض يريد أن يكسر قفص الجسد ليتصل بعالمه وهو عالم المجردات أى عالم الجبروت ولا يقدر على ذلك فاصبر على ساعات القبض وحرارته فان فى هذه الحرارة حكما لاتعد ولا تحصى ومن جملتها أن لولا نار القبض وحرارته لما اتصفت النفوس مما بقى فيها من القبائح والمفاسد لأنه لايتميز الخبيث من الطيب الا بالنار ومتى رأيت نفسك غير مستقيم على المجاهدة ومنهمكا على الاكل ومعاشرة

الخلق والميل اليهم فآبك على نفسك وعلى ما أصابك من التنزل من المقام الاعلى إلى سجين وأسفل السافلين (واطلب من الله تعالى العود إلى ما كنت عليه بل إلى الترقى منه إلى الكمال لأن كثيرا من الطالبين لم يستقم فتزل به القدم ولم يصبر فيندم حتى لاينفعه الندم فخالف نفسك فى هذا المقام ولاتزل معاديا لها وكلما رأيت لها ميلا طبيعيا) إلى شىء من الاشياء فجاهدها ولاتصادقها فمتى طلبت منك شيئا من أحوال الطريق فطاوعها وان كان فيه افراط من الجوع الكثير والسهر الكثير والاعتزال عن الخلق بالكلية وقلة الكلام فينبغى عليك مطاوعتها وان كانت غير مخلصة فى هذه الاشياء وقصدت بها الرياء لأن الرياء قنطرة الاخلاص ولايزال السالك يرائى حتى يخلص بعون الله تعالى لانهم قالوا لاباس بأن تخدع النفس بوعدها بالكرامات وحب الخلق لها وتوجههم اليها حتى تميل للمجاهدة وترك العادات وان كانت هذه الاشياء مذمومة فله أن يقول لنفسه أنك إذا توجهت إلى الله تعالى بالرياضات والمجاهدات تصدر على يدك خوارق العادات ولكن يجب عليه أن يكون مابينه وبين الله عامر بان تكون جميع أفعاله ومجاهداته لأجل رضوان الله تعالى ولتصفية نفسه من الرذائل وتحليتها بالكمالات والفضائل .

وأنت أيها السالك اياك أن تقف عند مايلوح لك من البارقات لانها كلها قواطع عن مطلوبك ولذا قال ابن عطاء الله فى الحكم ما وقفت همة السالك عند كون من الاكوان الا ناداته حقائقها الذى تطلبه أمامك (انما نحن فتنة فلا تكفر) وبعض السالكين لايحصل له شىء من الاشياء وذلك لصدق توجهه لخالقه وعدم تطلبه ذلك بسره وقلبه فيستريح من الفتنة

والمحن والوقوف عند الاكوان لأن من كوشف بشيء وهو فى البدايه كان متعرضا للعطب والقطيعة إلا أن يلطف به من ابتلاه وأعظم مايكرم به السالك فى سلوكه أن تبدل أوصافه الذميمة باوصاف مولاه الحميدة المقبولة المنجية له من المهالك لأن المقصود من هذا السلوك الوصول إلى ملك الملوك والوصول لايكون الا برفع الحجب السبعين المذكورة والحجب هى فى الحقيقة عدم المناسبة بين الطالب والمطلوب فتبديل الصفات تقرب المناسبه فافهم فانه من الأسرار واجتهد على تبديل الاوصاف والاخلاق إن كنت مشتاقا للجمال المنطلق عن كل قيد حتى عن الأطلاق فبدل الشبع الذى هو أسفل الصفات بالجوع وبدل النوم بالسهر والكلام بالصمت والعز والتكبر بالذل والافتقار وأمثال ذلك لأن عدم الاكل وعدم الكلام فيما لايعنى وأمثالها من صفات الملائكة واضدادها من صفات الحيوانات والانسان متوسط بينهما فكن أنسانا حقيقيا لا انسانا حيوانيا تترق بالانسانية إلى مالا تصل اليه الملائكة وتتقابل مرآة عبوديتك الحقيرة الذليلة بمرآة ربوبيته تبارك وتعالى وأكمل كل كمال كون العبد فى آخر درجات العبودية مقام مخصوص بالسيد الاعظم ﷺ فليس لك فى آخر درجاتها نصيب فلا تطمع فيه بل لك أن تطلب مايقاربها من الدرجات إذا عرفت هذا عرفت أن الذل هو إكسير السعادة وعرفت أن أسرار الربوبية مودعة فى المسكنة والعبودية فافهم وتأمل واسلك طريق الذل والافتقار تكن من العبيد الخلص الاحرار عن رق الاغيار فانك لاتنال مطلبا من المطالب الا بالعبودية وقد يحصل بدونها لكنه لايتم ولذا قال ابن عطاء الله فى الحكم ادفن وجودك فى أرض الخمول فما نبت مما لم يدفن

لم يتم نتاجه وقال بعض السادات طريقنا هذا لا يصلح إلا لاقوام كنست نفوسهم المزابل وقال بشر بن الحرث رحمه الله ما أعرف رجلا أحب أن يعرف الا ذهب دينة وافتضح فادفن وجودك وأخف شخصك حتى يصدق عليك قوله (ﷺ موتوا قبل أن تموتوا وقوله من أراد أن ينظر إلى ميت يمشى على وجه الأرض فلينظر إلى أبى بكر الصديق) وتحسب لك هذه الموتة عن الموتة الطبيعية حتى إذا جاءك الملك الموكل بقبض روحك يأتيك لأن ينقلك من دار إلى دار ويخلصك مما بقى فيك من الاكدار ويسلم عليك ويتلطف بك وذلك بأنك قدمت الموت الارادى المطلوب بقوله (موتوا قبل أن تموتوا وهو الفناء الذى بيناه لك فى هذا الباب وهو حالة لا يبقى للسالك معها ميـــل إلى مال أو ولد أو شىء من الاشياء) ولا له خوف من مكروه أصلا ولا شك أن هذه الحالة هى حالة الاموات حتى أن الميت يكشف له عن البرزخ وهذا السالك أيضا فى هذه الحالة يكشف له عن عالم المثال والبرزخ وكلاهما شعبتان من عالم الملكوت فاذا دخل السالك فى عالم المثال شاهد منه ما يناسب استعداده وقابليته من الاجتماع مع الاشباح كما ذكرنا فالواجب عليك أيها السالك أنك إذا لم تكن واصلا إلى هذه الأحوال فكن متعطشا لها طالبا لتحصيلها لأن كل من طلب شيئا وجد فى طلبه ناله بقدرة الله تعالى فاستعن أيها السالك بما ذكر من الرياضات والمجاهدات ولا تفتر عن تلاوة الاسم الثالث فان للأسماء خواص لا تنكر فخاصية الاسم الأول عجيبة ويعرفها غالب السالكين وهى أنه إذا واظب على الذكر يوقد الله فى قلبه مصباحا ملكوتيا فيرى به ظلمة النفس الأمارة ويرى جميع قبائحها وآفاتها فيجتهد

على أخراج مافيها وخاصية الأسم الثانى أخراج المشتغل به من ظلمة المعاصى إلى نور الطاعات وخاصية الأسم الثالث ظهور الهوية المطلقة والحقيقة الايمانية والمعارف القدسية الربانية على قلب المشتغل به فيرغب فى الحياة الابدية ويتجافا عن لذات الدنيا الدنية (وأعلم أن خواص الأسماء لاتظهر إلا بكثرة الذكر الجلى القوى الخفى بالمداومة مع الأدب وهى أن يكون الذاكر مستقبلا القبلة أن أمكنه جالسا على ركبتيه أو قائما) وان يكون خالى البال وان يلقى سمعه إلى نطقه صائما بما يقول مع نظافة الظاهر والباطن والمداومة على الوضوء فأن كنت مع هذه الآداب متمسكا بالشريعة فأنت على خير فلا تمل ولا تضجر إذا تعوق عليك الفتح) فأنه لابد لك منه ولو طالت مدته لكن بشرط الأستقامة والتمسك بالشريعة والطريقة واجعل ذكرك بهذا الأسم فى بعض الأوقات لاهو الا هو بدلا ومدهو لانه ذكر عظيم الشأن وكن حالة الذكر كأنك تخاطب أعضاءك أن ليس فى الوجود الاهوية الحق تعالى وأن كل ماسوى الله فهو صفاته تعالى وأفعاله فهذا المشهد هو مشهد الكاملين فاذا كلفت نفسك بهذا الشهود ودمت عليه صار لك حالا لاينفك وهو الغاية القصوى وصاحبه لايحجب بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق ولا بالكثرة عن الوحدة ولا بالوحدة عن الكثرة بل يشهد الكثرة فى عين الوحدة والوحدة فى عين الكثرة ويشهد الحق تعالى ظاهرا فى المظاهر فلا يشهد ظاهرا بلا مظاهر كما هو مشهد الموحدين ولا مظاهر بغير ظاهر كما هو مشهد المحجوبين المسجونين فى الفرق الأول وانما قلنا أن هذا مشهد الكاملين لأن المشاهدين ثلاثة كامل وناقص وانقص فالكامل ماذكرناه والناقص مشهد الموحدين

الذين اتحد فى شهودهم الظاهر والمظهر واستهلكت المظاهر عندهم فى الظاهر فلا يشهدون كثرة أصلا ولا خلقا ولا سوى وهذا مشهد ناقص لما فيه من التعليل وابطال خواص أسماء الله تعالى ولكن صاحبه معذور لأنه فى المقام الثالث وهو مغلوب والمقام الثالث نقص بالنسبة لما بعده وأما المشهد الأنقص فهو مشهد المبتدئين الذين هم محجوبون بالخلق عن الحق فلا يشهدون الا خلقا وبالكثرة عن الوحدة فلا يرون الا كثرة فالكمال شهود الكثرة فى عين الوحدة والوحدة فى عين الكثرة من غير احتجاب باحداهما عن الأخرى فلا يحجب الكامل بالخلق عن الحق ولا بالحق عن الخلق وأول درجات الكمال هو المقام الرابع الآتى بيانه فى الباب الذى بعد هذا الباب رب يسر ولا تعسر وأنت الكريم .

الباب السابع

فى بيان النفس المطمئنة وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وبيان كيفية الترقى عنها إلى المقام الخامس

(فسيرها مع الله وعالمها الحقيقة المحمدية ومحلها السر وحالها الطمأنينة الصادقة وواردها بعض أسرار الشريعة وصفاتها الجود والتوكل والحلم والعبادة والشكر والرضا بالقضاء والصبر على البلاء ومن علامة دخول السالك فى هذا المقام أعنى المقام الرابع الذى تسمى فيه النفس مطمئنة أنه لا يفارق الأمر التكليفى شبرا ولا يلتذ إلا بالتخلق باخلاق المصطفى ﷺ ولا يطمئن الا باتباع أقواله لأن هذا المقام مقـــام التمكين وعين اليقين والايمان الكامل كما أن المقام الذى قبله مقام التلوين) وفى هذا المقام يلتذ

بالسالك أعين الناظرين واسماع السامعين حتى أنه لو تكلم طول الدهر لايمل كلامه وذلك لأن لسانه يترجم عما ألقاه الله تعالى فى قلبه من حقائق الأشياء وأسرار الشريعة فلا يتكلم كلمة الا وهى مطابقة لما قاله الله ورسوله من غير مطالعة فى كتاب ولاسماع من أحد وذلك لأنه قد سمع بغير حاسة ما ألقاه الله فى سره أنا سرك أيها الحبيب وأنت سرى فاطمأن ما كان فيه من الأضطراب وغرق فى بحر الحياء والاداب ولزمته الخشية والهيبة وخلع عليه خلع الوقار والقبول وظهرت له حقيقة عالم الكون والفساد وعلم معنى قوله تعالى (كل من عليها فان) فيجب على السالك فى هذا المقام الاجتماع مع الخلق فى بعض الأوقات ليفيض عليهم مما أنعم الله به عليه ويترجم عما فى قلبه من الحكم فاخرج أيها الكامل اليهم وأحسن كما أحسن الله اليك) وليكن لك وقت خلوه لأنك وأنت فى هذا المقام فى أدنى درجات الكمال فلا يناسبك مخالطة الخلق فى جميع الأوقات لئلا تحرم الترقى إلى المقامات الباقية أعنى المقام الخامس والسادس والسابع فمتى كانت الفائدة فى العزلة فاعتزل أو فى الاجتماع فاجتمع وعلامه فائدة الاجتماع أن يستفيد الحاضرون منك مما اوهبك الله من علم الصدور (١) لاعلم السطور واشتغل فى هذا المقام بالاسم الرابع وهو (حق) بحرف النداء أو بدونه فأكثر منه ولا تلتفت إلى ما يظهر لك واطلب من ربك أن لا يظهرك على مايكون سببا لانقطاعك

---

(١) يقول الله تعالى . انما هو آيات بينات فى صدور الذين اوتوا العلم ويقول ﷺ : العلم علمان علم على اللسان وذلك حجة الله على عبده وعلم فى القلب وذلك العلم النافع

عن خدمته وعن الوقوف على بابه فانمـــا يكشف لك عنه أن لم تكن محفوظا معه كان سببا لبعدك عن حضرة القرب لأن حضرة القرب لا يدخلها الا العبيد الخاص الذين ليس لهم مايغترون به من خوارق العادات ولذلك ترى المحفوظين من الكمل إذا أظهر الله على أيديهم شيئا من الكرامات لايحسون بها ولايعلمون أظهرت لهم كرامة أم لا .روى أن رجلا من أولياء الله تعالى مر برجل وضربه بحصاة أصابته فى كعبه فما التفت الى الضارب ولاعرفه ولكن الله أكرمه بأن سقط الضارب ميتا فقيل للولى أين أنت من العفو والسماح وهل يجوز لك قتل نفس حرم الله تعالى قتلها فقال والله ليس لى علم بما تقولون ولا أعرف الرجل ولكن جرت عادة الله تعالى باكرام أوليائه من حيث لايعلمون وأمثال هذه الحكاية كثيرة فافهم المقصود منها واطلب من الله النصر والأعانة على تمزيق مابقى عليك من الحجب فان الحجب فى هذا المقام حب الكرامات والميل اليها وقل إن إلى ربك المنتهى وكل ماسوى الله تعالى فتنة فلا تقف عنده فتكفر وقد مثلوا حال من وقف عندما ظهر له من الكرامات بحال رجل طلب بيت الله الحرام وسار مع الحاج وقطع من الطريق أكثره فعند ذلك عرضت له امرأة حسناء لم ير الراؤون مثلها فادهشته وأخذت عقله فاراد الاقامة عندها ليتملى بها ويوصلها فقام اليه أمير الحاج وقال له لاتقم هنا فتنقطع عن الحاج ولكن اذهب معنا وزر بيت الله فاذا رجعنا نعقد عقدك وتدخل عليها بالحلال وإن اقمت فلا يحصل لك الوصال وإذا حصل ولا بد فبالحرام لا بالحلال فتنقطع عن بيت الله تعالى وتعصاه فغلب عليه هواه وأنقطع عن رفقته فدنا منها وأزال البرقع عن وجهها فاذا هى عجوز

مقلعة الأسنان قبيحة المنظر منتنة الفم فندم حيث لا ينفعه الندم فاراد أن يلحق رفقته فما قدر وصار يبكى الليل والنهار فالمرأة مثال للكرامة التى يطلبها السالك فى سلوكه وبيت الله الحرام مثال لحضرة القرب وطريق الحاج مثال لطريق القوم رضى الله تعالى عنهم فالسالك لاشك أنه إذا وصل إلى حضرة القرب تصير الكرامات كلها طوع يديه وان غلب هوى السالك عليه وطلب الشىء قبل أوانه وتعرض لطلب الكرامات أتعب نفسه فيما لا يعنيه وانقطع عن مطلبه فاذا حصلت له الكرامة وجدها كونا من الأكوان لاتنفعه فى الدنيا ولا فى الآخرة فاذا عرف حقيقتها ندم وبكى لأنه تقهقر عن مقامه الذى تعب عليه حتى حصله فاعلم أن نفس الكرامة ليس شيئا قبيحا لأنه اكرام من الله تعالى لعبده ولكن تطلبها والميل اليها شىء قبيح قاطع عن حضرة القرب التى لاتنال إلا بالعبودية المودوع فيها أسرار الربوبية فافهم ولاتقف عند كون من الاكوان فيكون حظك ذلك الكون وأعلم أنك فى هذا المقام تميل إلى الأوراد والادعياء وتحب حضرة المصطفى ﷺ محبة غير المحبة التى كانت قبل هذا المقام وأياك أيها المؤمن الكامل ان تأمن للنفس فى مقام من المقامات لأن العدو الذى غرست فى طبعه العداوة لاينبغى أن يؤمن مكره وأن صار صديقا ولأن الانسان مدة حياته متعرض للمحن والبلايا والعطف فينبغى عليه التحرز من الآفات الى الممات وقد يعرض لك فى هـــذا المقـام حب المال لتستعين به على طاعة الله وتعين أخوانك فـــلا يضرك ذلك لكن بشروط .الشرط الاول أن يكون قصدك الاستعانة المذكورة والشرط الثانى أن لا يشتغل قلبك فى تحصيلها اشتغالا يلهيك عن

ربك والشرط الثالث انك اذا حصلت شيئا من المال فلا تخفه عن الناس وتظهر انك فقير وقد يعرض لك فى هذا المقام حب الرياسة والشهرة وتدخل عليك نفسك بأن تتعرض للمشيخة والارشاد ليجتمع عليك الناس ويحصل لهم على يدك الاهتداء ويبقى لك الثواب فاياك أن تتعرض لشيء من ذلك فانها دسيسة من النفس وأما إذا أقامك الله تعالى وأنت فى هذا المقام وأشهرك والبسك ثوب المشيخة من غير سعى منك ولا جد ولا تطلب فقم بأمر الله تعالى فانه خير لك من الاعتزال وعلامة القيام بأمر الله أن تكون محبوبا لاخوانك وهم مطيعون لك ومن علامته أنك تنظر فى نفسك فلا تجد لك عليهم تميزاً وتنظر انهم متفضلون عليك وأنهم خير منك من وجه لأنهم يرون أنفسهم أحقر منك فلهذا كانوا خيرا منك فإذا كنت مع اخوانك هكذا فأرشدهم برفق وعظهم وحسن لهم طريق التصوف والذل والافتقار واخفض لهم جناح الذل واحمد الله تعالى حيث وفقك لهذا المقام الذى لست من أهله واشهد المنة لهم عليك ومتى عرفت أن المنة لك عليهم فاعلم انك لست من خيالة هذا الميدان فاترك المشيخة وفرقهم واسع على خلاص نفسك مما بقى عليها من الأكدار فانه الاهم فى حقك وحقهم وذلك لأن بعض النفوس هينة لينة لها باعتبار الفطرة والاستعداد الأصلى شرف وذكاء فاذا مرت على المقامات مرت بسهولة وهناوة وإذا وصلت الى هذا المقام الرابع استحق صاحبها أن يكون مرشدا لما فيه من الرفق واللطف والحلم الفطرى وقد مرت على المقامات فتصفت مما عرض عليها من الكدورات البشرية فلا بأس من أن ترشد الاخوان وتصف لهم الادوية النافعة فى هذا الطريق

بالشروط المذكورة هذا اذا لم يكن هناك مرشد أكمل منه فان كان من هو أكمل منه فيجب عليه أن يرى ذلك نعمة من الله تعالى حيث أنه أراحه وأتعب غيره وبعض النفوس صعبة خشنة خسيسة لئيمة وقد مرت المقامات وتبدلت أوصافها الذميمة بالأوصاف الحميدة واذا وصلت إلى المقام الرابع وصلت مطمئنة إلا أنها لاتصلح للارشاد فى هذا المقام لانعدام شروط الارشاد منها فينبغى عليك يا صاحبها أن لا تستعجل فى التقدم وكمل سلوكك بالترقى إلى المقام الخامس فالسادس فالسابع اذا عرفت الفرق بين النفوس عرفت أنه لاخلاف فى المعنى بين من قال أن المقامات التى يترقى فيها السالك سبعة وهم الخلوتية وبين من قال أنها ثلاثة وهم غيرهم لأن غير الخلوتية لا يعدون المقام الأول الذى تسمى النفس فيه بالأمارة مقاماً فيعدون الثانى وهو الذى تسمى فيه النفس باللوامة والثالث وهو الذى تسمى فيه النفس بالملهمة والرابع وهو الذى تسمى فيه النفس بالمطمئنة ولا يعدون الخامس والسادس والسابع لأنهم لم يعتبروا إلا النفوس الزكية باعتبار الفطرة ولاشك أن هذه النفوس إذا وصلت للمقام الذى تسمى فيه النفس بالمطمئنة كملت وصلحت للارشاد وأما الخلوتية فعدوا المقامات سبعة وجعلوا أولها مقام النفس الأمارة وآخرها النفس الكاملة وهذا الكتاب مرتب على مذهبهم لأنه ليس جميع نفوس السالكين زكية باعتبار الفطرة فهو جامع للطريقين والمذهبين

واعلم أن غير الخلوتية لا يلقنون السالك إلا ثلاثة أسماء فيلقنوه وهو فى النفس اللوامة لا إله إلا الله وفى أوائل الملهمة الله وفى اخرها هو هو وهذا الاسم يدخل على النفس المطمئنة ولا يلقنوه غيره وأما النقشبندية

فذكرهم باللطائف القلبية فأول تلقينهم للمريد السالك فى لطيفة القلب ثم ينقلونه إلى لطيفة الروح ثم لطيفة السر والخفى والأخفى ثم لطيفة النفس والعناصر الاربع وذكرهم من غير حركة اللسان ودليلهم من كتاب الله قوله تعالى (واذكر ربك فى نفسك تضرعا وخيفة ودون الجهر من القول بالغدو والآصال ولاتكن من الغافلين) وأما السادة الميرغنية فلهم مقدمات للطريقة وأساس صغير وكبير والأساس الكبير ينقسم إلى ثلاثة أقسام كبرى ووسطى وصغرى ولهم أوراد مخصوصة للخلوة مبسوطة فى كتبهم نفعنا الله باسرار الجميع وأعاد علينا من بركاتهم أجمعين وأعلم أنك إذا تمت المقام الرابع واطمأنت نفسك طمأنينة رحمانية ومازل قدمك عن اتباع الكتاب والسنة ولا قدر شعيرة بل مازج الشرع والأتباع لحمك ودمك وجذبتك يد الالطاف جذبة الكمال وهى غير الجذبة الأولى التى هى فى أول السلوك ونودى على نفسك بلسان سر السر يايها النفس المطمئنه إرجعى إلى ربك راضية مرضية فيعتريك النسيان فلا تدرك شيئا من أمور الدنيا والآخرة إلا إذا كان حاضرا عندك ومتى غاب عنك غبت عنه وذلك لأن قلبك حينئذ لايفتر عن مشاهدة جمال الحق وجلاله والله يقول الحق وهو يهدى السبيل .

الباب الثامن

فى بيان النفس الراضية وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وكيفية الترقى منها إلى المقام السادس

فسيرها فى الله وعالمها اللاهوت ومحلها سر السر وحالها الفناء لكن

لا بمعنى الفناء الذى مر بيانه والفرق بينهما أن ذلك حال المتوسط فى الطريق وقد عرفت أنه ذهول الحواس عن محسوساتها وهذا حال المشرفين على البقاء الذين هم فى أواخر السلوك والمراد به محو الصفات البشرية والتهيؤ للبقاء من غير أن يعقبه البقاء فى الحال لأن ذلك الفناء هو حق اليقين وهو بعد هذا الفناء يحصل فى المقام السابع المذكور فى الباب العاشر وهذه النفس أعنى الراضية ليس لها وارد لأن الوارد لايكون إلا مع بقاء الأوصاف وقد زالت فى هذا المقام حتى لم يبق لها أثر ولذلك كان السالك فى هذا المقام فانيا لا باقيا بنفسه كما كان قبل هذا المقام ولا باقيا بالله كما سيكون فى المقام السابع وهذه حالة لاتدرك إلا ذوقا وقد يمكن الكامل أن يفهمها للمريد المتهيء للكمال وصفات هذه النفس الزهد فى سوى الله تعالى والأخلاص والورع والنسيان والرضا بكل مايقع فى الوجود من غير اختلاج قلب ولا توجه لرفع المكروه ولا اعتراض أصلا على أمر من الأمور وذلك لأنه مستغرق فى شهود الجمال المطلق ولاتحجبه هذه الحالة عن الأرشاد والنصيحة للخلق وأمرهم ونهيهم ولا يسمع أحد كلامه إلا وينتفع به كل ذلك وقلبه بعالم اللاهوت وسر السر وصاحب هذا المقام غريق فى بحر الادب مع الله تعالى ودعوته لاترد الا أنه لاينطلق لسانه بالسؤال حياء وأدبا إلا إذا اضطر فانه يطلب ويدعو فلا ترد دعوته وهو عزيز عند الخلق محترم عند الاكابر والاصاغر لانه قد نودى عليه من حضرة القرب انك اليوم لدينا مكين آمين فصار تعظيم الخلق له قهرى لايعلمون لماذا يعظمونه ويحترمونه فينبغى عليه أن لايركن اليهم خصوصا الظالمين منهم لئلا تمسه نار طبائعهم على الخصوص إذا أحسنوا اليه وكان فقيرا وقد جبلت

القلوب على حب من أحسن اليها قال الله تعالى(ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار)فاشتغل بربك ولاتمل اليهم وكلما أعرضت عنهم واشتغلت بربك زاد شوقهم اليك فأن قسم الله لك فى مالهم نصيبا فهو يصلك قهرا عنهم فلا تركن اليهم رجاء فيما فى أيديهم ولاتعرض عنهم لأجل أقبالهم عليك لأنك وأنت فى هذا المقام وان كان لايخاف عليك من دسائس النفس الا أن الخوف أسلم فاحذر وخف ولا تغتر باقبال الخلق عليك ومحبتهم لك والحق أن صاحب هذا المقام ليس له ركون إلى ماسوى الله تعالى فمتى رأيت فى نفسك ركونا فاعلم أنك لست من أصحاب هذا المقام لأن صاحب هذا المقام قد أشرف على سلطنة الباطن التى جميع الظواهر تحت قهرها فكيف يكون له ركون واعتماد على بعض رعيته فافهم واشتغل فى هذا المقام بالاسم الخامس وهو(حى)وأكثر منه ليزول فناؤك ويحصل البقاء بالحى فتدخل فى المقام السادس وترقى من الوقوف على الباب إلى منازل الاحباب وكلما اشتغلت بهذا الاسم زال فناؤك وبقيت بالحى واتصفت بالصفات الكمالية وهى معنى كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به المعبر عنه بقرب النوافل وكل هذا يأتى مفصلا فى المقام السادس فاعلم ان من الاسماء أسماء يقال لها فروع عند بعض العارفين وهى الوهاب والفتاح والواحد الأحد والصمد فاشتغل وأنت فى هذا المقام بالاسم (الفتاح)أو بالاسم (الوهاب)مع الاسم الخامس الذى ذكرناه لك وهو الحى ليسهل عليك الانتقال إلى المقام السادس الذى أنت اليه فى غاية الاحتياج وتستمع مافيه من العجائب وتتحلى به والله الموصل ومن يتوكل على الله فهو حسبه ان الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شىء قدرا

الباب التاسع

فى بيان النفس المرضية وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها وكيفية الدخول منها إلى المقام السابع

فسيرها عن الله وعالمها عالم الشهادة ومحلها الخفاء وحالها الحيرة المقبولة وواردها الشريعة وصفاتها حسن الخلق وترك ماسوى الله تعالى واللطف بالخلق وحملهم على الصلاح والصفح عن ذنوبهم وحبهم والميل اليهم لأخراجهم من ظلمات طبائعهم وأنفسهم إلى أنوار أرواحهم لا كالميل الذى فى النفس الامارة لانه مذموم ومن صفات هذه النفس الجمع بين حب الخلق والخالق وهذا شىء عجيب لايتيسر إلا لأصحاب هذا المقام السادس ولذلك كان السالك فى هذا المقام يتميز عن عوام الخلق بحسب ظاهره وأما بحسب باطنه فهو معدن الاسرار وقدوة الاخيار ليس له فى شهود شىء من الاغيار من حيث هى أغيار وهو دائرة العلم الالهى الحالى لاعلم الرسوم المقالى وسميت هذه النفس بالمرضية لأن الحق تعالى قد رضى عنها وسيرها عن الله بمعنى أنها أخذت ماتحتاج اليه من العلوم من حضرة الحى القيوم ورجعت من عالم الغيب إلى عالم الشهادة باذن الله تعالى لتفيد الخلق مما أنعم الله عليها وحالها الحيرة المقبولة وهى المشار اليها بقوله .

زدنى بفرط الحب فيك تحيرا وارحم حشا بلظى هواك تسعرا
واذا سألتك أن أراك حقيقة فاسمح ولاتجعل جوابى لن ترا

وهذه الحيرة مقبولة لا كالحيرة المذمومة التى تكون فى أول السلوك من صفات السالك وهو فى هذا المقام شأنه الوفاء بما وعد فلا يخلف وعده

أصلا ووضع كل شيء فى موضعه فينفق الكثير إذا صادف محله حتى يظن الجهول أنه أسرف ويبخل بالقليل إذا لم يصادف محله حتى أنه إذا رآه الجاهل بحاله قال هذا أبخل من كل بخيل ولا يزداد مادحه إذا لم يكن محلا للاعطاء بمدحه الا تعبا وإذا كان من ذمه محلا للاعطاء فلا يمنعه حقه لأجل ذمه وهذه أحوال الكاملين أرباب القلوب ومن أوصافه أنه فى جميع شئونه فى الحالة الوسطى وهى بين الافراط والتفريط وهذه حالة لا يقدر عليها إلا من كان فى هذا المقام وهى خفيفة على اللسان ثقيلة عند الامتحان وكل أحد يحب هذه الخصله ويحب من يتصف بها إلا أنها صعبة فلا يقدر عليها كل أحد وأعلم أنه فى أول هذا المقام تلوح لك بشائر الخلافة الكبرى وفى آخره تخلع عليك خلعها وهى خلعة كنت سمعه الذى يسمع به وبصره الذى يبصر به ويده التى يبطش بها ورجله التى يمشى بها فبى يسمع وبى يبصر وبى يبطش وبى يمشى وهذا نتيجة قرب النوافل وهو أن يكون التأثير باستعانة الله تعالى للعبد فافهم هذا فأنه دقيق وإياك أن يسوء فهمك فتصدق أنك الحق كما يعتقده الملاحدة الذين طالعوا كتب الاكابر من الصوفية رضوان الله عليهم أجمعين ولم يفهموا منها ما قصدوه وخصوصا كتب الشيخ محى الدين قدس الله سره فأنه لم يفارق الشريعة أصلا ولكن سوء فهم القارىء شوش على الناس وتحقيق هذا المقام أن السالك إذا وصل إلى مقام الفناء وهو المقام المذكور قبل هذا المقام تمحق صفاته الذميمة البشرية التى هى محل الانفعال والشقاوة وذلك بسبب تقربه إلى الله تعالى بالنوافل التى هى محل الانفعال وذلك بسبب تقربه بالرياضات ومجاهدة النفس الجهاد الاكبر وقد جرت عادة الله تعالى أنه يهبه كرما

منه صفات مناقضة لتلك الصفات مؤثرة باذن الله تعالى وهـذا هو حق اليقين المذكور فى المقدمة فطالعه تفهم ان شاء الله تعالى فاياك أن تسلك طريق الضلال وتعتقد الحلول فتعالى ربنا أن يحل فى شىء أو يحل فيـــه شىء والحق أن هذه الأمور لاتدركها العقول ومتى حاول العقل أدراكها وقع فى الزندقة لانها أمور ذوقية لاتدرك الا بتأييد إلهى لأن الفناء ليس له فى الخارج نظير حتى يقاس عليه ويمثل به وكذلك البقاء بالله تعـــالى وكذلك قرب النوافل وقرب الفرائض فلا يدرك هذه الاشياء إلا من تأهل لذلك واتصف بالصفات الكمالية وانما ذكرته فى الكتاب لأن الخطاب فى هذا الباب لمن كان فى هذا المقام ومن كان فى المقام يفهم كل ماذكر بل يذوقه أن شاء الله تعالى وأعلم أن آخر مقامات السالك وصوله إلى الصورة الآدمية التى كانت قبلة للملائكة التى حقيقتها المحمدية وهى سر الله الاعظم واللطيفة الالهية وهذا غاية القرب من حضرة الرب فاذا وصل السالك اليها تحقق بالعبودية المحضة والعجز والذل فعرف نفسه بهـــذا الوصف وعرف ربه باوصاف الربوبية لأنه إذا عرف نفسه بالذل والفناء عرف ربه بالعز والبقاء وذلك بسبب مقابلة مرآة العبودية لمرآة الربوبية وانتقاش كل فى كل وهو معنى قوله ماوسعنى أرضى ولاسمائى ووسعنى قلب عبدى المؤمن ومتى عرف ربه بالعلم الالهى علم السر المـودوع فى حقائق الاشياء المشار اليه بقوله وعلم آدم الاسماء كلها وبقى هنا اسرار تضيق عنها العبارة فسبحان من تعالى عن الشبيه والمثيل وجل عن النظير ومتى كوشفت بهذه الصورة وعلمت انها هى أعظم مطالب السالكين وأعلى منازل السائرين وأعز مافى الوجود عند الكاملين جددت فى طلبها بالاستقامة

على الطريقة والتمسك باذيال الشريعة وتلاوة الاسم السادس وهو القيوم فتصير حسنات الابرار سيآتك فلا تزال مؤدبا بآداب الشريعة والطريقة والحقيقة لايشغلك بعضها عن البعض الآخر إلى أن تنتقل إلى المقام السابع طالبا للتحقق بالصورة الآدمية والحقيقية المحمدية لمثل هذا فليعمل العاملون وفى ذلك فليتنافس المتنافسون .

الباب العاشر

فى بيان النفس الكاملة وبيان سيرها وعالمها ومحلها وحالها وواردها وصفاتها

فسيرها بالله وعالمها كثرة فى وحدة ووحدة فى كثرة ومحلها الاخفى أى السر الاخفى الذى نسبته إلى الخفى كنسبة الروح إلى الجسد وحالها البقاء وواردها جميع ماذكر من واردات النفوس وصفاتها جميع ماذكر من الأوصاف الحسنة للنفوس المتقدم ذكرها والاسم الذى يشتغل به هذا الكامل اسمه القهار وهو الاسم السابع عند الخلوتية وهذا المقام هو أعظم المقامات لأنه قد كملت فيه سلطنة الباطن وتمت به المكايدة والمجاهدة ليس لصاحب هذا المقام مطلب سوى رضوان الله تعالى فحركاته حسنات وأنفاسه قدرة وحكمة وعبادة أن رآه الناس ذكروا الله تعالى عند رؤيته وكيف لايكون ذلك وهو ولى الله بل كان وليا وهو فى المقام الرابع إلا أن المقام الرابع مقام الأولياء العوام والمقام الخامس مقام الاولياء الخواص والمقام السادس مقام الاولياء الذين هم خواص الخواص فسبحان من لامانع لما أعطى ولا معطى لما منع وأعلم أن الاسم

القهار من أسماء القطب صاحب الوقت أعاد الله علينا من بركاته وقدس سره العزيز ولذا قال العارفون رحمهم الله تعالى أنه يمد المريدين الطالبين بالانوار والهدايات والبشارات صاحب الوقت بهذا الاسم وقالوا أنه مهما حصل فى قلوب المريدين من الفرح والسرور والجذبات الكائنة بغير سبب فهو من مدد القطب عوضا عن اذكارهم وتوجهاتهم لربهم وصاحب هذا المقام لايفتر عن العبادة وذلك أما بجميع البدن أو باللسان أو بالقلب أو باليد أو بالرجل وهو كثير الاستغفار كثير التواضع سروره رضاه فى توجه الخلق إلى الحق وحزنه وغضبه فى أدبارهم عن الحق يحب طالب الحق أكثر من محبة ولده الذى من صلبه وهو كثير الاوجاع قليل القوى قليل الحركة ليس فى قلبه كراهية لمخلوق من المخلوقات مع أنه يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر ويظهر الكراهة لمستحق الكراهة ويظهر المحبة لمن هو أهل المحبة لاتاخذه فى الله لومة لائم يرضى فى عين الغضب ويغضب فى عين الرضا لكنه يضع كل شىء فى محله متى ماوجه همته إلى كون من الاكوان الا أوجده الله تعالى على وفق مراده قد انطوى فى مراد الله تعالى فاذا أراد شيئا وطلبه من الله تعالى لايخيبه وعلى الله قصد السبيل

الخاتمة فى بيان صفات المرشد وبيان أحواله وبها يعرف من يصلح للارشاد ومن لايصلح ولو تصفحت مامر من المقامات لعرفت من يصلح للارشاد من غيره ولكن بالخاتمة تزداد علما باحواله والعلم باحواله أمرمهم لأنه قد يتصدى للارشاد من ليس أهله فيكون ضالا مضلا لأنه لم يتكمل

أعلم أن من كان بصدد الارشاد لابد أن يكون عالما بما يحتاج اليه

المريدون من الفقه وعقائد أهل السنة والجماعة وان لم يكن متبحرا فى العلوم بل يكون له اطلاع بقدر مايزيل به الشبه التى تعرض على المريد فى البداية وان يكون عالما بكمالات القلوب وآفات النفوس وأمراضها وأدوائها وكيفية حفظ صحتها واعتدالها وان يكون رؤفا رحيما بالناس وعلى الخصوص بالمريدين وأن يكون ناصحا لهم فينظر فى حالة المريد بعدما يصحبه مدة فان رآه قابلا للسلوك سلكه وحسن له الطريقة وأعانه على ترك الاسباب بكل ما أمكنه من الاعانة بالمال وغيره وإن رآه غير قابل نصحه وقال له ارجع إلى حرفتك أن كان له حرفة أو إلى تعاطى شىء من الاسباب إن لم يكن له حرفة فان الله تعالى لايحب العبد البطال فليقل له ذلك والمريد القابل للسلوك من عادى نفسه فاتعبهـــا بالجوع والعطش والسهر والاعتزال عن الخلق وقلة الكلام وكل ما آذاه أحد من أخوانه أقام الحجة على نفسه لاعلى من آذاه ويقول أن نفسى لولم تسكن خبيثة لما سلط الله الاخوان عليها بالايذاء وإذا تشاكوا للشيخ يقول والله انى أنا الظالم على أخى فمتى كان السالك على هذه الصفات ظاهرا وباطنا فهو قابل للسلوك وأن وجد فيه أوصاف ذميمة ومتى كان المريد مصادقا نفسه راضيا عنها ينتصر لها اذا آذاها أحد من أخوانه فلا يفلح ولايشم لهـذا الطريق رائحة فمثل هذا المريد يجب على الشيخ أن يقول له اذهب إلى صنعتك لأن أساس هذا الطريق عدم الرضا عن النفس ومعاداتهـا فاذا بنى السالك على غير هذا الاساس انهدم كل مابناه ولا يلزم من هذا الكلام أن المريد القابل للسلوك لايصدر منه شىء من القبائح بل يقع منه بعضها لأنه ليس كاملا بل هو طالب للكمال وطالبه قد تقع منه القبائح فرادنا

من هذا الكلام أنه إذا صدر منه مكروه لا يرضى به ويلوم نفسه ويقيم الحجة عليها ولا ينتصر لها بوجه من الوجوه لا ظاهرا ولا باطنا وكذلك يأمر الشيخ المريد بالاحتراف والصنعة إذا رآه لا يقدر على الرياضة والمجاهدة فاذا لم يأمره بذلك فقد غشه والشيخ لا يكون غشاشا لقول النبي ﷺ من غشنا فليس منا أو كما قال إلا إذا احتاج الشيخ لخادم يخدم الفقراء فلا بأس أن يقيمه الشيخ خادما وأن يكون لا يقدر على الرياضة لكن يجب على الشيخ أن يعلمه أنه ليس هو من سالكي طريق المقربين وان طريق المقربين لا يكون إلا بالرياضات والمجاهدات ومن علامة المريد القابل أن يكون ساخطا على نفسه أن سب فلا يسب الا لها وأن تألم فلا يتألم إلا عليها وأن غضب فلا يغضب إلا عليها فمن لم يكن كذلك فليس هو من سالكي طريق المقربين ومن علامة المريد القابل أن يكون حزين القلب منكس الرأس كمن أصابته مصيبة لا تتدبر وإذا انشرح وانبسط كان انشراحه وانبساطه كصاحب هذه المصيبة والحق أن مصيبة السالك العارف أعظم المصائب لأنه ببركة السلوك وتلاوة الاسماء عرف ما انطوت عليه نفسه من الخبائث والرذائل والقبائح وعرف أنه مع بقاء هذه الخبائث لا يصل إلى مطلوبه ولا يتملى بمحبوبه وسعى على الخلاص فما أمكنه الخلاص من جميع الخصال لأنها كثيرة والنفس منجبلة عليها وكل ماخلص من خصلة ذميمة وقع فيها بعينها أو وقع فيما هو أخبث منها ولاشك أن من كان هذا حاله يجب أن يكون منكس القلب باك العين شاكيا من نفسه طالبا من مولاه الاعانة على الخلاص من كل مايقطعه عن ربه وإذا عرض عليه البسط والرجاء فيجب عليه التحفظ من قلة الادب

ورفع الرأس والضحك والزهو وان يعرف هذه الحالة فى الخلوة بينه وبين ربه ويطلب منه زوال هذه الحالة والحفظ معها لأن حالة القبض والخوف حالة السلامة لاخوف على المريد معها لكنها صعبة لاتلائم النفوس الجاهلة وأما المريد العارف فانه يخاف فى حالة البسط هلاك باطنه وعمارة ظاهره وفى القبض هلاك صفات النفس الخبيثة وعمارة باطنه وإذا قال المريد أنا فى حالة البسط لى مع الله حضور ومناجاة ومراقبة ومشاهدة وفى حالة القبض ليس لى شيء من ذلك فاعلم أن هذا المريد ليس أهلا لما ادعاه ولاعلم الله ولاعرف الحضور معه لأن الحضور مع الله تعالى هو الغيبة عن جميع ماسواه ولا يغيب الانسان عن جميع ماسواه الافى حالة القبض أو الهيبة أو الجلال (حكى) عتبة الغلام وكان من الرجال الصالحين قدس الله أسرارهم أنه زها يوما من الايام فقال له شيخ الزمان وهو الجنيد البغدادى تزهو ياعتبة فقال كيف لا أزهو ياأستاذ وقد أصبح لى ربا وأصبحت له عبدا فقال لى الشيخ يابنى إن الفرح مذموم ولو كان بالله وان الله يحب القلب الحزين وقال عليه الصلاة والسلام أن الله يحب كل قلب حزين ومن علامة المريد القابل أن يكون معاديا لنفسه طالبا من الله تزكيتها فى سره وعلانيته وأن يعلم أنها عدوة له وان مرضها خطر فيسعى على خلاصه واذا صدر منه شيء مخالف للطريق حكاه للشيخ .

فمن علامة المرشد الكامل أن يكون ستارا لكل ما أظهره المريد . وان يكون غنى النفس حسن الخلق لايغضب الا لله . وان يكون قد استوى عنده جميع المآكل وحسنها وخشنها وكذلك استوت عنده جميع الملابس فلا يكون عنده فرق بين الصوف وغيره من الملابس الحسنة. وان يكون أكبر همة تسليك السالكين لاجمعهم عليه لتنصرف وجوه الخلق نحوه بسبب اجتماعهم حوله فان مثل هذا الشيخ تفرش سجادته على متن جهنم

وان يكون فى جميع أحواله فى الحالة الوسطى فى الجوع والشبع والنوم والسهر أعنى بين والتفريط والافراط . كما قال ﷺ أما والله أنى لأخشاكم لله وأتقاكم له ولكنى أصوم وافطر واصلى وارقد واتزوج النساء . فاشار عليه الصلاة والسلام الى أن الحالة الوسطى شىء حسن وانها حالة الأتقياء الكمل ولاشك ان الحالة الوسطى لايقدر على الاتصاف بها الا الكمل من الرجال ولذلك كان من اتصف بها صالحا للارشاد. وإذا لم يكن متصفا بها فلا يقدر عليه لأنه ينبغى أن يكون جلاله ممزوجا بجماله . وغضبه ممزوجا بحلمه. وقهره ممزوجا بلطفه يسخط من عين الرضا ويرضى من عين السخط وذلك لقيامه بالله تعالى . وان يرضى فرضاه بالله تعالى فيجب على المريد أن ينظر أولا فى حال نفسه هل فيه أوصاف المريد القابل وينظر ثانيا فى أحوال الشيخ هل هو متصف بما ذكر من الأوصاف فان رأى نفسه وشيخه كذلك فيجب عليه السلوك والخلاص من سجين الطبيعة والترقى إلى أكمل الصفات ولايبالى ان طالت المدة فانه لابد له من الوصول حتى أنه إذا وجد فى نفسه أوصاف المريد القابل وما وجد الشيخ فيسلك هو وحده نفسه بنفسه أيضا . ولكن يجب عليه إذا فقد الشيخ أن يتمسك بالشريعة ومطالعة أحاديث المصطفى ﷺ وأخلاقه وأوصافه وتواضعه لأن الشيطان لا يغفل عن المريد ولاساعة ويدخل عليه من أبواب كثيرة فيأتيه وهو فى النفس الامارة فيقول له ما الله وهذا الطريق قدمات أهله ومابقى منه إلا العبارات وأنت فى زمان القابض فيه على دينه كالقابض على الجمر وإذا أردت السلوك فعلى يد من تسلك أين أصحاب الكرامات وأين أصحاب الاحوال كلهم ماتوا فكن مستمداً منهم وقف مع ظاهر

الشرع فان أصغى المريد لهذا الكلام وبردت همته وانحل عزمه واعرض عن السلوك جاءه اللعين بعد ذلك وقال له ان الله يحب أن يؤخذ برخصه كما يحب أن تؤتى عزائمه كما يكره أن تؤتى معاصية . وأن الله تعالى يحب أن تقبل رخصته كما يحب العبد مغفرة ربه . فلا تشدد على نفسك لأن الله يقول (ليس عليكم فى الدين من حرج) فاذا صغى المريد لهذا الكلام تتبع الرخص وتناول الشبهات التى هى بين الحلال والحرام . ومن تناول الشبهات وفعلها فقد حام حول الحرام وقرب منه . ومن شأن الشبهات انها تظلم القلوب ومتى اظلم القلب وقع فى الحـــرام وإذا وقع فى الحرام هلك مع الهالكين

لأن كل من أكل الحرام وداوم عليه وملأ بطنه منه صار لا يخطر بباله إلا فعل الحرام فاذا تكلم يتكلم بالغيبة والنميمة وكسر الخواطر وغير ذلك مما يكون سببا لارتكاب الحرام وهذا هو غاية مطلب الشيطان لأنه أكيس من أن يدخل امة محمد ﷺ فى الكفر . وما أيسر من أن يخرج المؤمن من الإيمان ويجعله ناقص الإيمان فانه مع المعاصى وأكل الحرام لا يكون الانسان كافرا بل مؤمنا لكنه ناقص الايمان والدليل على انه ايس من كفر أمة محمد قوله ﷺ ان الشيطان ايس أن يعبد فى بلادكم هذه أبدا ولكن سيكون لكم طاعته فـــيما تحتقرون من الاعمال فيرضى به . وقوله ﷺ ان الشيطان قد أيس أن يعبده المضلون فى جزيرة العرب ولكن فى التحريش بينهم فدل ما قاله ﷺ على ان الايمان إذا تمكن فى القلب فلا يزول أصلا بل ينقص وأما الذين ارتدوا بعد الاسلام فأولئك لم يتمكن الايمان من قلوبهم وأما قوله ﷺ أن الرجل ليصل

بعمل أهل الجنة حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع فيسبق عليه الكتاب فيعمل بعمل أهل النار فيدخل النار فهو حديث صحيح . وهذا الرجل عمل بعمل أهل الجنة ولكن قلبه لم يطمئن بالايمـــان فلا شك أنه عند الموت لاتنفعه تلك الأعمال ويظهر ما فى باطنه من كفر لأن الايمان إذا لم يكن عين اليقين فلا فائدة له لأن الظن لايغنى من الحق شيئا فلذلك يجب على كل مسلم أن يحصل من العقائد ما يزيل منـه الشبهـة والظن ولا ينبغى للسالك أن يتوغل فى علم العقائد لأنه لافائدة فيه بل يأخذ منه بقدر مايحتاج اليه . وقد شرحت قصيدة قطب زمانه سيدى أبى العباس احمدبن عبدالله الجزائرى رضى الله عنه شرحاً مختصرا مفيد الايحتاج من قرأه إلى غيره . من العقائد لأنه قد أشتمل بحمدالله على جميع عقائد أهـل السنة والجماعة فمن اراد تحصيل اليقين بسهولة فليقرأه فانه نافـــع أن شاء الله وعباراته خالية من التعقيد بفهم من له ادنى فهم ولنرجع إلى ما كنا بصدده من أن الشيطان يدخل على السالكين من أبواب كثيرة فيأتيهم وهم فى النفس الامارة ويسعى على قطعهم بما سمعته فى الأقوال المزيفة التى يقبلها العقل فان حنتهم الالطاف وعلموا أن هذا شأن العاجزين الحمقى البطالين وسلكوا حتى وصلوا إلى المقام الثانى وصارت نفوسهم لوامة أتاهم الشيطان من طريق كثيرة يقطعهم عن طريق الحق . منها أنه يحسن لهم مايصنعونه من الاعمال ولايزينها لهم فيدخل عليهم العجب فاذا أدخل عليهم العجب بنفوسهم واعمالهم وغرهم أو قال لهم المقصود من الطريق العمل وانتم قد حصلتم عليه فلا حاجة لكم إلى العلم ولا إلى نصيحة العلمـاء ، لأن العالم الذى ينصحكم ليته ينصح نفسه فهل يعمل العالم الذى ينصحكم

عشر معشار ماتعملون فان تمكن منهم هذا العجب والعياذ بالله تعالى استعظموا أنفسهم واستحقروا الناس وساءت أخلاقهم وساء ظنهم بالغير وصاروا لا يقبلون من عالم نصيحة بل يتعبدون على مقتضى عقولهم فيهلكون فى بحار الجهل والعياذ بالله . ومنها أن يأتيهم ويقول لهم كيف تدعون الصلاة وتدعون حب الله ولا تحجون البيت ولا ترون النبى ﷺ وهذا ليس شأن المحبين .

فتوكلوا على الله وحجوا ومهما كان لكم من الاوراد ومن الصلاة والصوم والاذكار فافعلوه فى الطريق فتجاوزوا على ثواب الحج وغيره فان صغرا لهذه الوسوسة وتوجهوا إلى بيت الله الحرام مع فقرهم وفاقتهم وقلة زادهم ورواحلتهم أتعبوا ابدانهم فلم يقدروا على العبادة التى كانوا يفعلونها فاذا زاد عليهم التعب وملوا من الطريق جاءهم اللعين وقال لهم ان الله تعالى يقبل القضا فلا تضيقوا على أنفسكم وتحملوها مالا تطيق واذا فاتكم شىء من الصلاة فاقضوها فى مكة شرفها الله تعالى فيمثلون قوله من عجزهم ويتهاملون فى اداء الصلاة وإذا جاعوا ساءت أخلاقهم وقال لهم أنتم فقرا وما فرض عليكم الحج وما فرض الحج إلا على الاغنياء فلا شك أن الخواطر التى خطرت لكم وبعثتكم على الحج كانت من الشيطان فيوقعهم فى الندم والسخط وعدم الرضا فتظلم قلوبهم ويقعون فى غيبة الخلق وأعراضهم لأنهم لا يتصدقون عليهم ولا يفتون اليهم وقد لا يبلغون الحج فينقطعون وإذا بلغوه قد تفوتهم غالب مناسك الحج بسبب اشتغالهم بطلب القوة وإذا كان الرجل منهم فى بلده كريما سخيا مؤثرا على نفسه منشرح الصدر حسن الاخلاق يصير بسبب مالاقاه من الاهوال بخلا ضيق الصدر سىء

الاخلاق ودسائس الشيطان كثيرة وهي أنواع منوعة لمن قدر عليه بافساد عمله أفسده عليه ومن لا يقدر عليه في إفساد عملة دخل عليه بعمل أفضل من عمله وحسنه له مع أنه لا يقدر عليه لكنه يهونه عليه ويغريه به حتى يباشر العمل الثاني وينقطع بسببه عن العمل الاول ولا يقدر على إتمام العمل الثاني ويحرم العملين وهذا مراد الشيطان من ابن آدم ومنها أنه يقول لاصحاب النفس اللوامة انتم معتقدون الناس يعتقدونكم فلا بأس أن تحسنوا اعمالكم ليعتقدوا فيكم فتحصلوا الثواب فاذا حسن أعمالكم لهم بهذه النية صارت معلولة هذا إن عجز اللعين عن أن يجب رياء وسمعة ومنها أنه يقول للعابد اخف عبادتك فان الله يحب العمل الخفي فيحبك الله ويحبك الناس ايضا لأنهم لا يطلقون على اخلاصك فان تبعة واخفى عمله بنية محبة الناس له وقع الريا ولم يدر فان نجا اصحاب النفوس اللوامة من مكره واستعانوا بالله على دسايسه وترقوا إلى المقام الثالث وهو الذي تسمى النفس فيه بالملهمة دخل عليهم من أبواب تناسبها لانهم قد بلغوا بعض درجات العرفان وجاوزوا ماذكر من العقبات ولم ينفروا بما زين لهم فقال لهم قد تفقتم وعلمتم أن لا موجود إلا الله تعالى وأنه هو المبدى وهو المعيد ومنه بدأ الامر واليه يعود ولا يتحرك إلا بقدرته وقد جف القلم وأهل النار إلى النار وأهل الجنة إلى الجنة وهذا الأمر لا يعلمه إلا أمثالكم فلا تتعبوا أنفسكم بالاعمال الشاقة فدعوا الاعمال للمحجوبين المقلدين ولا تشتغلوا بها واشتغلوا بالمشاهدة والمراقبة فان زلت أقدامهم وما اطلعوا أنها دسيسة شيطانية تركوا الاعمال الصالحة فاذا تركوها وأظلمت قلوبهم من حيث لا يعلمون جاءهم وهو متمكن منهم بسبب ظلمة قلوبهم وقال لهم

إفعلوا ماشئتم فان الله تعالى حقيقتكم فانتم هو وهو أنتم ولايسأل عما يفعل وأنتم لاتسألون عما تفعلون فحينئذ تنسبل عليهم الحجب الظلمانية الطبيعية ولا يرونها فيزنون ويشربون الخمر ويأكلون الحرام من أي وجه كان من سرقة أو قيادة أو غير ذلك ولايخافون من الله لسوء أعتقادهم وعدم معرفتهم بالله ولايزال الشيطان يلعب بهم حتى يتخذوه وليا من دون الله وهذا حال من مال إلى أرض الطبيعة وصار كلام الشيطان معينا له على هواه وأما المريدون وجه الله المحبون له تتبعوا افعاله بنية وأقواله وسايروا الشريعة حتى ماتوا الموت الطبيعي فهو كلما خطر ببالهم خاطر قاسوه على أفعاله وأقواله ﷺ فان وافق عملوا به وإلا ردوه وقالوا أنه شيطاني وقد علموا أن النبي صلى الله عليه وسلم انتقل بالوفاة ولم يترك شيئا من الفرايض والنوافل ولم يسمع هذا عن السلف الصالح فتحققوا أن كل خاطر لايوافق الشريعة فهو زندقة وكفر وضلال فاستقاموا على الطريقة فترقوا من هذه المقامات الكثيرة الخطرة إلى المقامات العلية فانكشف لهم سر الشريعة فرأوه بحرا لاساحل له وهو مخزون في ظاهر الشريعة فمن لم يكن متابعا لظاهر الشريعة لاينكشف له عن سرها ويتسع في الزندقة والعياذ بالله تعالى قال الله تعالى (قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله) فهذه تكون البصيرة في الشريعة في التزام الوقوف على باب الشريعة حتى يصل إلى أسرارها ومن أسرارها الله تعالى وخصوصياته التي تقع بينه وبين عباده الذين ليس للشيطان عليهم سبيلا وهذه الاسرار يعرفها أهلها بسبب تنوير بواطنهم واتباعهم للشريعة ولا يلتبس عليهم وإذا أراد الشيطان أن يلبسها عليهم فلا يقدر لانه ليس له عليهم سلطان وقد

جاء للشيخ عبدالقادر قدس الله سره العزيز وهو في البادية وقال ياعبدالقادر أنى أنا الله وقد أبحت لك المحرمات فاصنع ماشئت فقال له كذبت أنك شيطان قال الله تعالى ان الله لا يأمر بالفحشاء فانظر ما أعظم الشريعة وما أسلم من تمسك بها وأعلم أن جميع ما تنوع به الشيطان يقدر أن يضل به الضعفاء من الناس وأما العارفون الاقوياء فانه لا يضلهم إلا بما يناسبهم من أنواع الاضلال وما ذكرناه من أنواع الاضلال قليل بالنسبة إلى مايظهر به لعنه الله من الانواع ولاتقدر أيها الاخ على ردها إلا بالتمسك بالشريعة المطهرة وما كان عليه صحابة رسول الله ﷺ والعلماء العاملين من أمته .

تم الكتاب بعون الله تعالى ولله اسأل ان ينفع به وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

طبع بدار الطبع والنشر للجامعة الصوفية الاسلامية العالمية
٣١٣ — (ا) — شارع الخليج المصرى بالسيدة زينب

فهرست

رقم الصفحة	الموضوع
	المقدمة
٦	ضرورة التصوف فى حياه الأمة
٩	حكم الله فى ترك علم التصوف والعمل به
١١	ترجمة المصنف رضى الله عنه نقلا عن سلك الدرر
١٥	مقدمة الكتاب
٢٥	تعريف مايحتاج إلى ذكره فى هذا الكتاب من اصطلاحات أهل التحقيق مرتبا على حروف المعجم
٣٦	الباب الأول فى ذم الدنيا ولذاتها وبيان حقيقتها
٤٥	الباب الثانى فى الحث على سلوك الطريقة وبيان فضلها
٥٥	الباب الثالث فى بيان الحجب التى بين العبد وربه وما يحتاج اليه السالك فى رفعها
٦٥	الباب الرابع فى بيان النفس الامارة وسيرها
٧٣	الباب الخامس فى بيان النفس اللوامة وسيرها
٩٣	الباب السادس فى بيان النفس الملهمة وسيرها
١١٥	الباب السابع فى بيان النفس المطمئنة وسيرها
١٢١	الباب الثامن فى بيان النفس الراضية وسيرها
١٢٤	الباب التاسع فى بيان النفس المرضية وسيرها
١٢٧	الباب العاشر فى بيان النفس الكاملة وسيرها
١٢٨	الخاتمة فى بيان صفات المرشد